أساليب الصليبيين في ممارسة الحرب النفسية التمثيل بالجثث نموذجًا ١٠٩٦-١١٢٢م

إعـــــداد

د/ نـجلاء حسين محمد توفيق

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب- جامعة أسيوط

Email: ussien.naglaa@ymail.com

DOI: 10.21608/aakj.2024.299825.1802

تاريخ الاستلام: ٢٧/٦/٢٠٢٤م

تاريخ القبول: ٣٠ /٧/٢٠٢٤م

ملخص:

شكلت الحروب الصليبية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين صورة واضحة لذلك الصراع الذي نشأ بين الغرب الأوروبي والشرق الإسلامي، ذلك الصراع الذي وضعت لأجله الخطط والتشكيلات العسكرية، ومارس خلاله الصليبيون حربًا عرفت بالحرب النفسية بكافة أساليبها من خلال بث الشائعات والأخبار الكاذبة، أو من خلال القيام بارتكاب المذابح الوحشية والتمثيل بجثث القتلى وبقر بطونهم، بهدف بث الرعب والفزع بين المسلمين، والتأثير عليهم نفسيًا، تمهيدًا لهزيمتهم وفرض السيطرة على بلادهم، ولم تكن هذه النوعية من الحروب من السهولة بمكان، إذ راح ضحيتها العديد من الأرواح إما من الجند وإما من عامة المسلمين المدافعين عن أراضيهم.

وقد حاولت في هذا البحث بيان مفهوم هذه الحرب، وأهدافها والدور الذي لعبته معنويًا خاصة في الفترة التي عبرت فيها القوات الصليبية إلى الشرق خلال الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م وحتى تأسيس الصليبيين لإمارات الرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس في بلاد الشرق الإسلامي، خاصة ما ورد في المصادر اللاتينية المعاصرة لهذه الحملة.

إن ما ورد عن ممارسة الصليبيين لهذه الحرب من خلال التمثيل بجثث القتلى بأنواعها من قطع للرأس أو حرق للجسد بعد قتله، أو بقر البطون، أو نبش القبور، أو أكل لحوم البشر، كان لأمر يدعو إلى الوحشية والغرابة من إتيان مثل هذه الممارسات، وهو الأمر الذي عكفتُ على بيانه في هذه الدراسة، وفي محاولة لمعرفة دوافعها، وكذلك تأثيرها النفسي والفعلي على الجانبين الصليبي والإسلامي، ومدى نجاح هذه الأساليب من عدمه، وموقف القوى الإسلامية منها.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، جثث الموتى، نبش القبور، أكل لحوم البشر، الحرب النفسية، بقر البطون.

Abstract:

Crusaders' methods of practicing psychological warfare

Modeling corpses

1096-1122 AD

The Crusades during the eleventh and twelfth centuries AD formed a clear picture of the conflict that arose between the European West and the Islamic East, a conflict for which military plans and formations were drawn up, and during which the Crusaders practiced a war known as psychological warfare in all its methods by spreading rumors and false news, or by Committing brutal massacres and mutilating the bodies of the dead and cutting their bellies, with the aim of spreading terror and panic among Muslims, and influencing them psychologically, in preparation for defeating them and imposing control over their country. This type of war was not easy, as it claimed many lives, whether soldiers or ordinary Muslims. Defenders of their lands.

In this research, I have tried to explain the concept of this war, its objectives, and the role it played morally, especially during the period in which the Crusader forces crossed to the East during the First Crusade in 1096 AD until the Crusaders established the emirates of Edessa, Antioch, Tripoli, and Jerusalem in the countries of the Islamic East, especially what was mentioned in the Latin sources. contemporary to this campaign.

What was reported when the Crusaders practiced this war by mutilating the bodies of the dead with all kinds of beheadings, burning the body after killing it, ripping open stomachs, digging up graves, or eating human flesh, was something that called for the brutality and strangeness of committing such practices, which is the matter. Which I set out to explain in this study, in an attempt to know its motives, as well as its psychological and actual impact on the Crusader and Islamic sides, the extent of the success of these methods or not, and the position of the Islamic forces towards them.

Keywords: Crusades, corpses of the dead, exhuming graves, cannibalism, psychological warfare - stomach-breaking.

مقدمة:

لم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع إلا فترة زمنية، ولونًا خاصًا يمثل الصراع الدائم ما بين الشرق والغرب، هذا الصراع الذي اختلفت تسميته باختلاف الأزمان والمقاصد، فإذا كان هذا الصراع يتمثل في العصور القديمة ما بين الفرس من جهة واليونان والروم من جهة أخرى متخذًا صبغة الغزو والاكتساح في سبيل تكوين إمبراطوريات عظمى، فإنه في العصور الوسطى اتخذ الصبغة الدينية ممثلة في الجهاد الإسلامي والحروب الصليبية الأوروبية[١]، وما الحروب الصليبية إلا حادث تاريخي عظيم زاد من اختلاط أسبابه وغموضه كثرة الشعوب التي اشتركت فيها[٢]، وكثرة الأنظار والأفكار التي توجهت إليها، ولهذا اختلف المؤرخون في تعداد هذه الأسباب وتنويعها، لكن برغم هذا الاختلاف، فإن الأسباب التي حملت أوروبا على إعلان الحروب الصليبية ترجع كلها إلى غرضين أساسيين هما:

- رد فعل الغرب الأوروبي المشبع بالحقد ضد العالم الإسلامي وسيادته على الأماكن المقدسة وبيت المقدس.

- دافع الطمع والكسب الذي اختلفت أنواعه وأشكاله، ما بين التوسع وإقامة ممالك وإمارات، تحت الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عانت منها أوروبا إبان تلك الفترة[٣]، والمثال الواضح على ذلك يتمثل في بعض أمراء الحملة الصليبية الأولى، وكذلك المدن التجارية الإيطالية التي صاحبت تلك الحركة.

ولهذا راحت الجيوش الصليبية تنطلق عام ١٠٩٦م الواحدة منها تلو الأخرى نحو الشرق حيث الأراضي المقدسة، وبخاصة بعد تلك الدعوات التي وجهتها البابوية إلى ملوك وأمراء وشعوب الغرب الأوروبي[٤] لكل من يحمل راية الصليب بأنه سينال رضا البابا، وسيحصل على العديد من الامتيازات والثروات[٥]. فاتجهت أولاً جيوش العامة من المعدمين والغوغاء[٦]، ثم تبعتها جيوش الأمراء عام ١٠٩٧م[٧]. وكلا

الجيشان اجتازا الأراضي البيزنطية[٨] ومنها إلى آسيا الصغرى نحو بيت المقدس، وهناك كان لابد من الصدام بين تلك الجيوش وبين القوات الإسلامية، فدارت رحى الحروب الطاحنة، استخدم فيها الصليبيون مختلف الأساليب التي تعينهم على الفوز في المعارك، وكان من هذه الأساليب الحرب النفسية، تلك التي تعد من الأمور المهمة التي أولتها الدول والجيوش قديمًا وحديثًا عناية خاصة؛ وذلك لتأثيرها الكبير في حسم العديد من المعارك والحروب السياسية والعسكرية، ويذكر لنا التاريخ أن الحرب النفسية عرفت في عصور ما قبل الميلاد، ثم تطورت بتطور الزمن والمجتمعات، حتى استخدمها الصينيون والرومان واليونان والفرس في حروبهم، كذلك العرب المسلمين لاحقًا خصوصًا في بداية الدعوة الإسلامية وتوسعوا في استخدامها خلال الفتوحات الإسلامية بعد توطيد دولتهم، ثم الصليبيون أثناء الصراع الصليبي الإسلامي في الشرق[٩].

وقد ظهر مفهوم الحرب النفسية عند جموع المؤرخين والكتاب على إنها استخدام أية وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري[١٠]. وقد اشتملت على مجموعة من الأهداف كان منها:

- تحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية.
- التأثير على الجنود أثناء القتال.
- زرع الخوف في نفوس الأعداء؛ لإن انفعال الخوف نفسيًا متعلق بغريزة حب الحياة وكراهية الموت، ويترتب على هذا الخوف إما الهرب من المعارك أو عدم الشعور بالأمن والاستقرار بشكل دائم[١١].

ولعل هذا الأسلوب هو ما حرصت على تنفيذه الجيوش الصليبية، وذلك في ضوء المذابح الوحشية التي ارتكبها الصليبيون أثناء حصار المدن الإسلامية والتمثيل

بجثث القتلى، وبقر بطونهم، هذا فضلاً عن التظاهر بأكل لحوم البشر، وتعذيب الأسري المسلمين، وإهانة المقدسات الدينية الإسلامية، وبث الشائعات والأخبار الكاذبة، هذا بالإضافة إلى نشر الرعب والفزع(١٢). وكان لهذا أثره الواضح لا على الجيوش الإسلامية وحسب بل وعلى المسلمين عامة.

إزاء هذا وجدت الباحثة الفرصة الطيبة لتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، وقد ركزت في دراستها على أسلوب واحد من هذه الأساليب النفسية التي اتخذها الصليبيون منهجًا لهم في الصراع الصليبي الإسلامي؛ ألا وهو التمثيل **بجثث القتلى،** فجاء موضوع البحث كالتالي: "**أساليب الصليبيين في ممارسة الحرب النفسية (التمثيل بالجثث أنموذجًا ١٠٩٦ – ١١٢٢م)** "، وهو أمر خلا من الرحمة والإنسانية، وأظهر الطبيعة الوحشية للقوى الصليبية وأفرغت قدر الكراهية للمجتمعات الإسلامية.

اتخذ أسلوب التمثيل بالجثث عند الصليبيين صورًا وألوانًا مختلفة كان منها: قطع الرؤوس، بقر البطون، والذبح، نبش القبور، والحرق، وسوف استعرض كل من هذه الأساليب وبيان أثرها على الصليبيين والمسلمين خلال سير الحملة الصليبية الأولى عبر الأراضي الإسلامية، والأعوام الأولى من عمر المملكة الصليبية في بلاد الشام من عام ١٠٩٦م وحتى ١١٢٢م.

جدير بالذكر، اتجه هذا البحث إلى دراسة الموضوع بشكل عرضي، أي لا تتبع فيه الترتيب الزمني للأحداث التاريخية، لكونها تقوم بدراسة كل عنصر من عناصر التمثيل بالجثث على حدى؛ لهذا تتكرر الأحداث أو السنوات على مدار صفحات البحث. أضف إلى ذلك أن الباحثة حددت الفترة الزمنية من ١٠٩٦م إلى ١١٢٢م، لأنها الفترة التي شهدت واحدة من أكبر الحملات الصليبية التي جاءت إلى الشرق لاحتلال بيت المقدس، وبالتالي فقد بلغ الصراع الصليبي الإسلامي أشده، أضف إلى ذلك قلة المادة المصدرية خاصة في الفترات الزمنية اللاحقة لعام ١١٢٢م،

باستثناء تلك الحادثة التي وقعت لامرأة مسلمة عام ١١٨٩م، وقيام الصليبيين بقتلها، ومن ثم التمثيل بجسدها عن طريق الحرق، وهنا نتسأل، عن أسباب توقف المصادر عن ذكر التمثيل بجثث القتلى المسلمين؟! مع أن الحملات الصليبية لم تنته على الشرق الإسلامي؟!

ومما لا شك فيه أن الحملات الصليبية الأولى التي جاءت إلى الشرق عام ١٠٩٦م كانت ممزوجة بعناصر من العامة والغوغاء، بالإضافة إلى الأمراء الصليبيين، ولما كانت هذه الحملات تعد هي طليعة الصراع الصليبي الإسلامي، فكانت تحمل بين جنبيها الحقد والبغضاء ضد الكيان الإسلامي، وربما هذا ما دفع بعضهم إلى القيام بالتمثيل بجثث المسلمين على نحو ما سنرى خلال صفحات البحث، ولكن بعد استقرار الكيان الصليبي وتكوين إماراته ببلاد الشام، اتخذت الحملات الصليبية طابع الحروب المنظمة من حيث التكتيك والتشكيلات العسكرية، فقلت حدة التمثيل بالجثث لإرهاب الخصم.

على أية حال، كانت الحركة الصليبية نتاجًا للظروف التاريخية التي ربطت القوى الإسلامية بالدولة البيزنطية والغرب الكاثوليكي إبان العصور الوسطى، وكون الفكرة الصليبية نبعت في البلاط البابوى، فخضعت لها وأخذت نمطًا تاريخيًا خاصًا في معاركها العسكرية التي جرت ضد المسلمين في آسيا الصغرى، مما مثل صدمة مؤلمة كان على المسلمين أن يستوعبوها، ونتج عن ذلك حربًا عسكرية بين الجانبين، استعمل فيه الصليبيون وسائل متعددة في قتالهم لإرهاب المسلمين، وبث حالة من الرعب والفزع في نفوسهم، وكان في مقدمتها قطع الرأس(١٣).

كان أسلوب قطع الرأس من أبشع صور الحرب النفسية التي مارسها الصليبيون ضد مسلمي الشرق، فهي نوع من أنواع التمثيل بجُثث القتلى لإلقاء الرُعب في نفوس الأحياء، بإعلامهم بأن لهم نفس المصير المشئوم لو وقعوا في أيدٍ الصليبيين، من

ذلك، أنهُ بعد اجتياز حملة الأمراء لمدينة القسطنطينية عام ١٠٩٧م اتجهوا ناحية مدينة نيقية[١٤] التي ضربوا حولها الحصار تحت قيادة الدوق جود فرى دى بوايون Godefroi de Bouillon[١٥]، وروبرت الثاني كونت فلاندرز Robert II of Flanders[١٦] وتانكريد Tancriede [١٧] في ٦ مايو ١٠٩٧م ثم بوهيمند Bohemond[١٨] والذي وصل بجيشه لحصار نيقية من الجهة الشمالية. وهناك أقاموا آلاتهم الخشبية والأبراج لتقويض أسوارها، ومن ثم الهجوم عليها بعنف، وهو الأمر الذي دفع بالمسلمين المحاصرين إلى طلب النجدة من إخوانهم خارج المدينة، فنزل هؤلاء في الهبوط تدريجيًا من قمم الجبال. ودار قتال عنيف أطاح فيه الصليبيين وعلى حد قول بطرس توديبود: "**... برؤوس كل المسلمين الذين هبطوا إلى الوادي...**"[١٩]، وقد بلغ الأمر صعوبة في التمثيل بجثث المسلمين أن قام هؤلاء الصليبيين بحمل تلك الرؤوس المفصولة عن أجسادها بالقرب من المدينة ورشقوها بالمقاليع وقذفوا بها إلى داخل المدينة[٢٠].

وهنا يمكن أن نشكك في رواية الإطاحة برؤوس كل المسلمين، والتي قد يكون بطرس الناسك مبالغًا فيها، بسبب كراهيته للمسلمين، وإلا فكيف يرمون بكل رؤوس المسلمين، ومن ثم يرسلون بعضها إلى إمبراطور القسطنطينية علامة على نصرهم، وكما يؤكد ذلك ألبرت الأكسى، والذي اتفق معه روجر من ويندوفر، في معرض حديثه عن حصار الصليبيين لمدينة نيقية في أحداث الحملة الصليبية الأولى حيث قال: "قام رجالنا بقطع رءوس القتلى، ورموا بها بواسطة منجنيقاتهم إلى المدينة؛ حتى يُنزلوا الهلع في قلوب المُحاصرين، وجرى إرسال ألف من هذه الرؤوس مع عدد مُنتخب من الأسرى، إلى القسطنطينية هدية إلى الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين"[٢١].

وهنا يمكن القول: إن الألف رأس المقطوعة من الجنود المسلمين والتي تم إرسالها إلى القسطنطينية هو رقم مبالغ فيه، والتي لم ترد إلا عند ألبرت الأكسي، وربما روجر من ويندوفر نقلها عنه، ذلك أن الأول لم يكن من شاهدي عيان الحملة الصليبية

الأولى، ويبدو أنه وضع تاريخه في أوربا دون أن يحضر إلى الشرق، والثاني كان مصدرًا متأخرًا. على أية حال، فربما ما قصدوه من مسألة الأعداد تلك كانت محاولة منهما لإبراز مدى القوة والنصر الكبير الذي حققته القوات الصليبية على المسلمين، وأن مسألة التحرك إلى مدينة بيت المقدس والاستيلاء عليها، لهو أمر ليس من الصعوبة بمكان. أضف إلى ذلك، أن الصليبيين ربما أرادوا من وراء ذلك بث الذعر في قلوب المسلمين المدافعين عن المدينة(٢٢)، وهذا ما أكده المؤرخ المجهول، صاحب كتاب الجستا(٢٣).

كما أن المؤرخة البيزنطية أنا كومنينا Anna Comnena تتفق في رأيها مع ما جاء لدى الكتاب اللاتين من أن القصد من وراء ما فعله الصليبيون للمسلمين من قطع رؤوسهم والتمثيل بها من خلال حملها على رماحهم كأنها البيارق في أيديهم، هو إحلال الخوف في نفوس المسلمين، حتى يكفوا عن التفكير في قتالهم في المستقبل(٢٤)، وهذا يوضح كيف أن الصليبيين كانوا يدركون ما يفعلون جيدًا ومخططين له، ولم تكن مسألة التمثيل بالجثث مسألة عبثية تقع مع أحداث القتال والاشتباكات العسكرية.

من خلال هذا يتبين عمق الأفكار العدائية للصليبيين تجاه القوى الإسلامية، في ضوء التحريض وبذر بذور العنف في قتالهم، حتى أن مؤرخيهم قد وجدوا لأنفسهم مبررًا يبيح لهم هذا العمل المشين بأن إخوانهم من صليبي العامة التي تحركوا من قبل بجيوشهم عام ١٠٩٦م، قد قتلهم المسلمون بصورة بشعة، وهذا ما أكده المؤرخ اللاتيني فوشيه الشارتري بقوله: "آه كم هي كثيرة رءوس القتلى وعظامهم التي وجدناها ملقاة في الحقول قرب البحر في المناطق المحيطة بنيقوميديا! ففي تلك السنة (١٠٩٦م) استأصل المسلمون أفراد شعبنا الذين كانوا يجهلون القوس وكيفية استخدامه، وإذ حرك هذا المشهد مشاعرنا سكبنا كثيرًا من دموعنا"(٢٥).

والحقيقة أنه أمر يدعو إلى الغرابة من المؤرخ اللاتيني فوشيه الشارتري، فكيف يمكن أن يتصور أن تلك التحركات الصليبية القادمة من الغرب الأوروبي بأعدادها الكبيرة، وبما أحدثته من التخريب والقتل والاعتداء، ويطالب المسلمين، الذين قد انتهكت أراضيهم، أن يقفوا مكتوفي الأيدي لا يدافعون عنها وعن نساءهم وأطفالهم، ولعل هذا ما يؤكد نظرة العدوانية التي يحملها أهل الغرب الأوروبي إلى المسلمين، وإلى جانب القول بأحقية القوى الإسلامية في الدفاع عن أراضيهم ربما أيضًا أن قيام الصليبيين بقطع رؤوس المسلمين والتمثيل بها كان بسبب ما شاهدوه من جماجم أُناس حملة العامة.

على أية حال، فإنه وبعد سقوط نيقية – في أيدي الصليبين الذين سلموها إلى القوى البيزنطية في ٢٦ يوليو ١٠٩٧م، ورفع العلم البيزنطي عليها– وتحرك الجيوش الصليبية نحو أنطاكية[٢٦]، نجد أن الصليبيين اشتبكوا مع القوات الإسلامية عند واد عرف باسم جورجونى Gorgoni في معركة حاسمة هزم فيها الجيش الإسلامي، ومارس خلالها الصليبيون أسلوب قطع الرأس، حيث هاجم وليم–أخو تانكرد– أميرًا مسلمًا من الأتراك السلاجقة (لم تذكر المصادر اسمه)، وقد طعن كل منهما الآخر برمح، وأصيب جودفرى، ودورمونت Durmont بسهم قاتل، عند قيامهما بقطع رأس مسلمًا[٢٧].

وقد أضاف بطرس توديبود عن هذه المعركة قائلاً: "... حيث اقتربنا من جسر الحديد[٢٨] وجد كشافونا أثناء قيامهم بعمليات الاستطلاع المعتادة جيشًا كبيرًا جاء لنجدة أنطاكية وقد احتشدوا لقتالنا، فاندفع رجالنا نحوهم جملة واحدة ودحروا أعداءهم بمهارة فائقة في معركة حاسمة ولاذ البرابرة بالفرار وقد استبد بهم الذعر وتركوا خلفهم الكثيرين من قتلاهم في ساحة القتال..."[٢٩].

أما روجر أوف ويندوفر، فقد وضع وصفًا تفصيليًا لهذه المعركة بين الصليبيين والمسلمين، فأشار إلى إنه في عام ١٠٩٨م، وبينما الصليبيون منشغلون بحصار أنطاكية، فقد بعث أهالي مدن دمشق والقدس وقيسارية وحلب وحماه وحمص وبعلبك، ثمانية وعشرين ألفًا من المحاربين، وقد تجمعوا عند حارم[٣٠]..... وكانوا عازمين على الانقضاض على الصليبيين من الخلف أثناء حصارهم أنطاكية، غير أنهم تنبهوا لمقدمهم، وأرسلوا جميع الفرسان، ... وكان تعداد الصليبيين سبعمائة رجل فقط، وحملوا عليهم بالسيوف، والرماح.. وعندما لم يجد المسلمون أنفسهم غير قادرين على التعامل مع الصليبيين في القتال، أخلدوا إلى الفرار حتى معسكرهم، الذي كان يبعد عشرة أميال عن ميدان القتال، وجرى في ذلك اليوم مقتل ألفي رجل من الأعداء... ثم عادوا إلى المعسكر حاملين معهم خمسمائة رأس من القتلى[٣١]".

ومن خلال ما سبق نجد أن روجر من ويندوفر قد بالغ كثيرًا في ذكر الأعداد، حيث وصف أعداد المسلمين حين جاءوا لنصره مسلمي أنطاكية بثمانية وعشرين ألفًا، هذا مقارنة بأعداد الصليبيين التي بلغت سبعمائة مقاتل فقط، فكيف لهؤلاء أن يقوموا بقتل ألفين من المسلمين، ويقطعوا برؤوس خمسمائة منهم، في الوقت الذي لم يذكر فيه عدد قتلى الصليبيين، ومن الأرجح أن روجر قد بالغ كثيرًا في روايته، ولا يعفيه من ذلك أنه كان مصدرًا متأخرًا، لأن تلك الأعداد لم تتناولها المصادر اللاتينية المعاصرة إن كان نقل روايته منها، ولكن أغلب الظن أن روجر حاول أن يضفي نوع من الحماسة الصليبية، كما أراد أن يعظم من دور المقاتل الصليبي على حساب الحقيقة التاريخية، ولهذا لابد من الحذر عند النقل عنه، خاصة فيما يخص الأعداد.

على أية حال، فإنه عندما وصلت الفرقة المنتصرة من الصليبيين إلى معسكرهم أمام أنطاكية المحاصرة، رموا بمائتي رأس مسلم إلى داخل المدينة، لإعلام السكان بانتصارهم، وثبتوا البقية على أعمدة أمام الأسوار، حتى يزيدوا بمشاهدتها من آلام المحاصرين، وقد أكد ذلك المؤرخ ريموند أجيل بقوله: "وبعد أن كسبنا المعركة وفزنا

بالغنائم، حملنا رؤوس القتلى إلى المعسكر، وعلقناها على أعمدة كتذكرة بائسة لما حل بحلفائهم المسلمين، وما ينتظر المحاصرين من مصائب، والآن حين نتأمل فإننا نستنتج أن ذلك كان أمر الرب؛ لأن المسلمين كانوا قد ألحقوا بنا العار من قبل، حينما غرسوا سن راية مريم المباركة (أي الصليب)، التي استولوا عليها في الأرض، وهكذا قدر الله أن رؤية رؤوس الأصدقاء التي لا حياة فيها والمعلقة على أعمدة مدببة، ستمنع المدافعين عن أنطاكية من معايرتنا بعد ذلك(٣٢).

مثال أخر على تمثيل الصليبيين بجثث المسلمين عن طريق قطع الرؤوس أنه أثناء حصارهم أنطاكية عام ١٠٩٧م، قامت جماعة من الجنود المسلمين بمهاجمة معسكرات الصليبيين حول أنطاكية فدار بينهما قتالاً عنيفًا بقيادة بوهيمند، تمكن فيه الصليبيون من قتل أعداد غفيرة من الأعداء، واقتادوا الأسرى أمام بوابة أنطاكية، وضربوا أعناقهم لتكدير الأنطاكيين(٣٣).

لم تتوقف المصادر عن ذكر مسألة التمثيل بالجثث خاصة قطع الرؤوس على مدار التحرك العسكرى لجيوشها عبر آسيا الصغري، وراحت تفند هذه المواقف واحدة بعد أخرى، إذ نجدها تشير إلى أن الصليبيين قاموا أثناء الاشتباكات العسكرية بينهم والمسلمين حول أنطاكية بالقول: "فقد ضربناهم على رؤوسهم وألقينا بهم في النهر بحرابنا المميتة حتى أن مياه العاصي المتدفقة بدت قرمزية اللون بعد أن اختلطت بدماء المسلمين(٣٤)، وهذا يؤكد الوحشية التي تعامل بها صليبي الحملة الأولى تجاه المسلمين.

تشير إحدى المصادر أيضًا، إلى أنه وبعد مرور حوالى خمسة أشهر على حصار أنطاكية وصلت بعض المراكب الجنوية جالبة حجاجًا وميرة، وبعث البحارة إلى الصليبيين المحاصرين لأنطاكية من ضرورة إرسال قوة لترافقهم إلى المعسكر، فخرج لهم بوهيمند وريموند أجيل كونت تولوز ومعهم وايفرارد دى بوساكو Everard de

Busaco وغـارنر Garner كونـت دى غـرى Gres لمـرافقتهم، وعنـدما علـم مسـلمى أنطاكيـة بـذلك خرجـت قـوة كبيـرة مـنهم قـدرت بأربعـة آلاف مـن العسـاكر الخفيفـة لاعتراضـهم وتدميرهم، فوقـع بين الجـانبين قتـال كبير تراجعت فيه قوة الصـليبيين إلـى معسكرهم، وعندما شاهد ياغى سيان[٣٥] حاكم المدينة (١٠٨٥-١٠٩٨م) بأن رجاله قد انتصروا أمر بفتح أبواب المدينة، حتى تتمكن القوات من الدخول بحرية لدى عودتها، الأمـر الـذي دفـع بالمعسـكر الصـليبي إلـى الالتحـام بالمسـلمين انتقامًـا لمـا أصـابهم، فانقضوا بغضب وعنف على المسلمين الذين تفرقوا وتصارع الفريقان في سبيل السيطرة على جسر المدينة، وتمكن الدوق جودفرى دى بوايون دوق اللورين ورجاله من السيطرة على الجسر، وأصبح المسلمون غير قادرين على مقاومة، ولم يستطيعوا بأية وسيلة الفرار، لهذا جرى تمزيقهم إلى إرب إرب، ورأى ياغى سيان فرار عساكره، ولهذا فتح الأبواب لإدخال الذين بقيوا منهم أحياء على الأقل، ولذلك توفر هناك حشد كثيف فوق الجسر، مما أسقط عددًا كبيرًا جدًا في النهر، وتمكن جودفرى دى بوايون بقواه الذاتية وبضربة واحدة، من قطع رؤوس عدة عساكر مسلمين، ورأى واحدًا منهم وهو يحمل بشدة على رجالنا، فقطعه إلى قسمين، وهو لابس لدروعه، وهكذا سقط القسم الأعلى على الأرض، بينما بقي القسم الأسفل على ظهر الحصان الذي حمله إلى داخل المدينة، ذلك أن هذا الحصان اندفع يصهل بين المسلمين، وهذا أرعب الجميع بمنظر الجثة الفظيع فوق ظهره[٣٦].

ومما لا شك فيه أن عملية القتل والتمثيل بالجثث كان لها أبعادها النفسية على الجانبين، أضف إلى ذلك التلوث الذي تركته تلك الطرق من حيث التعفن وانتشار الروائح الكريهة، الأمر الذي دفع بالمسلمين المحاصرين بأنطاكية إلى الخروج فجرًا؛ لجمع جثث قتلاهم المفصولة عن أجسادها، لدفنها عند المسجد الواقع خلف الجسر بأنطاكية[٣٧].

ومن خلال ما سبق يتبين مدى الوحشية التي مارسها الصليبيون بعد دخولهم أنطاكية، وهو الأمر الذي اجمعت عليه المصادر اللاتينية، ومنهم فوشيه الشارترى الذي ذكر قائلاً: "قام أربعون من جنودنا الذين كانوا قد دخلوا المدينة بذبح ستين مسلمًا وجدوهم يحرسون الأبراج، .. ثم أخذ الفرنج يجرون في شوارع المدينة، وسيوفهم مشرعة، يقتلون الناس في وحشية[٣٨]. أما أمير أنطاكية .. فقد قطعت رأسه وهو يحاول الهرب.."[٣٩].

أضف إلى ذلك، وكما ذكر، أن روبرت دوق نورماندى سدد ضربة لأحد المسلمين، كان يشتبك معه، وكانت الضربة قوية إلى حد أنها نفذت من خلال الخوذة، والترس، والرأس، والأسنان، والرقبة نزولاً حتى الصدر، وكان مثل شاة قطعت إلى قسمين من قبل الجزار، وعندما سقط إلى الأرض، صرخ الدوق بصوت مرتفع قائلاً: "لتذهب روحك الدموية إلى جهنم"[٤٠].

على أية حال، فإنه وبعد سقوط أنطاكية في أيدي القوات الصليبية ٣ يونية ١٠٩٨م، فقد زحفت تلك القوات نحو بيت المقدس، وخلال المسافة بين المدينتين فإن المصادر المعاصرة وغير المعاصرة – على حد علم الباحثة – لم تشر إلى أي أحداث متعلقة بالتمثيل بجثث المسلمين. لكن شاهدنا ذلك بعد وصولهم إلى بيت المقدس التي حاصروها في السابع من يونيو ١٠٩٩م بحوالي أربعين ألفًا من المشاة والفرسان، حتى وقعت في أيديهم هي الأخرى ١٥ يوليو ١٠٩٩م[٤١]، وقد مارست القوات الصليبية ما ألفته من التمثيل بالجثث وقطع رؤوس المسلمين، حتى كانت أعداد الرؤوس التي فصلت عن أجسادها كبيرًا جدًا، لدرجة أنه لم يعد بإمكان أي إنسان السير في الطرقات من دون أن يسير فوق أجساد ميتة[٤٢].

ومن هول المذابح التي ارتكبها الصليبيون عند دخولهم بيت المقدس، أشارت المصادر اللاتينية بالقول: "لقد قتل الصليبيون من الأعداء أعدادًا

كبيـرة..... حتـى كانـت كميـات الـدماء المراقـة كثيـرة إلـى حـد أنهـا سـببت الانزعـاج والقرف للمنتصرين أنفسهم"(٤٣).

وتـذكر المصـادر فـي موضـع آخـر، أنـه عنـدما سـمع تـانكرد أن عـددًا مـن المسلمين قد هربوا للالتجاء إلى ساحات المعبد، اندفع إلى هناك عدد كبير من الرجال المسلحين إلى داخل المعبد، وقتلوا كل من واجهوه، وملأوا الطرقات بالدماء... ثم إن رجالنا تفرقوا خلال الشوارع وبحثوا في كل مكان سري أو خفي، وأخرجوا كل من وجدوه من سادة وسيدات مع أطفالهم وأسرهم، لقد جردوهم من غرفهم السرية ومن حيث خبأوا أنفسهم، وقتلوهم إما بالسيف، أو أطاحوا بهم من أعلى المعبد على رؤوسهم، فدقوا أعناقهم"(٤٤).

ولقد اتفق فوشيه الشارترى المعاصر للأحداث مع رواية ريموند أجيل بقوله: "... هرب بعض المسلمين إلى برج داود وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الرب ومعبد سليمان، وتم شن هجوم وحشي على المسلمين الذين كانوا قد تسلقوا قمة معبد سليمان هاربين فصابتهم السهام في مقتل فسقطوا من فوق السقف، وتم ذبح حوالي عشرة آلاف في المعبد، ولو أنك كنت موجودًا هناك لغاصت قدماك حتى العقبين في دماء المذبوحين، ترى ماذا أقول؟ إننا لم نترك أحدًا منهم على قيد الحياة ولم ينج حتى النساء والأطفال"(٤٥).

ولعل هذا يدل دلالة واضحة على كثرة التمثيل بجثث المسلمين بالذبح وبتر الأعضاء بعد موتها، حيث انتشرت الأشلاء البشرية في كل ناحية، وغطت الأرض بدماء المذبوحين، ولم تكن مطالعة الجثث – وقد فارقتها رءوسها– ورؤية الأعضاء المبتورة المبعثرة في جميع الأرجاء، فأثار ذلك الرعب في نفوس جميع من شاهدها، ويقال أن قتل في داخل المسجد الأقصى وحده عشرة آلاف من المسلمين، بالإضافة إلى أن القتلى الذين تناثرت جثثهم في كل شوارع المدينة وميادينها(٤٦).

ومن عجيب ما ارتكبه الصليبيون من أساليب الحرب النفسية أن بعض العسكر شكلوا عصابات انطلقت تسطو على البيوت في مدينة بيت المقدس ممسكين بأصحابها ونسائهم وأطفالهم، وبعد الاستيلاء على كل ما لديهم راحوا يقتلون البعض بالسيف، ويقذفون بالبعض الآخر من الأمكنة لعالية إلى الأرض فتتهشم أعضاؤهم ويهلكون هلاكًا مروعًا.... ثم راحت تلك العصابات تفتش المدينة تفتيشا دقيقا، وتقتل أهلها بغير رحمة"(٤٧).

لم تقتصر مسألة التمثيل بجثث القتلى عند الصليبيين عند حد قطع الرأس في القتال الجماعي أثناء المعارك فحسب، بل أننا نجد أيضًا أنها قد طبقت في الحوادث الفردية أو المؤامرات، ومثال ذلك، ما وقع من أحد الأمراء المسلمين ويدعى بالدوك حين أراد تدبير مؤامرة يتمكن من خلالها القبض على بلدوين الأول ملك بيت المقدس(١١٠٠-١١١٨م)(٤٨)، ولذلك فقد أهداه تفكيره أن يبيع للكونت بلدوين مدينة سميساط(٤٩) القديمة المنيعة التحصين، ويبدو أن ثمة اتفاق جمعه وبلدوين على تنفيذ ذلك، على أن يحضر أمير المسلمين زوجته وأولاده وكل أهل بيته إلى الرها الواقعة تحت سيادة بلدوين، ضمانًا لتنفيذ الاتفاق، لكن يبدو أن ذلك التدبير لم يفلح، ولم يطمئن له بلدوين الذي خاف على نفسه، وانتهز فرصة قدوم الأمير بالدوك لتقديم عذرًا يبرر تأخره في الوفاء بما وعد، فما كان من الكونت بلدوين إلا أن أطاح برأسه(٥٠).

كما أن هناك رواية أخرى تشير إلى ما قام به الكونت الصليبي جوسلين حاكم الرها عام ١١٢٢م تجاه الأمير بُلك أو بيليك(٥١)، لأسره لجوسلين من قبل، غير أنه تمكن من الفرار، وانتقامًا من بيليك، فقد تم قطع رأسه والتمثيل به، بل كان التمثيل أكثر غلظة، حتى يقول أحد المؤرخين: "والحقيقة أن جوسلين دمر بيليك تمامًا لأنه جرده من الرأس والأعضاء، ولم يعد بيليك يري، أو يسمع، أو يتكلم، ولا يجلس أو يمشي(٥٢)، بعد ذلك عهد بجثمانه إلى شاب كلفهُ بحمله إلى الجيش الصليبي لتعم الفرحة بهذا الخبر السعيد، كما أوصى الرسول بأن يعرج في طريقه على أنطاكية حتى يعلم أهل البلد

والعسكر جميعًا بهذا النصر، فأثلج قدوم هذا الشاب أفئدة الجميع، وزاد من سعادة المسيحيين فكانت سعادة كبيرة(٥٣).

ولعل هذا يوضح كثرة أعداد القتلى من المسلمين منذ بداية دخول الصليبيين الأراضي الإسلامية، وإلى أن أسلوب قطع رأس جثث المسلمين كان أسلوبًا نفسيًا متعمدًا من جانب الجيش الصليبي لإثارة الرعب والفزع في قلوب المسلمين، والدليل على ذلك ما ذكره المؤرخين اللاتين المصاحبين للحملات الصليبية بالقول: "... كم من رءوس المسلمين قطعت... هذا شيء يستحيل أن نحصيه..."(٥٤).

ونرى حول مدن اللد (٥٥) والرملة(٥٦) مشهدًا أخر للأساليب العنيفة للقوات الصليبية التقت بالقوات المصرية الفاطمية في أغسطس ١٠٩٩م، وكذلك معركة الرملة الأولى ١١٠١م ومعركة الرملة الثانية ١١٠٢م، ومعركة الرملة الثالثة ١١٠٥م(٥٧) وتلك كانت آخر المعارك بين الفاطميين والصليبيين، حيث قامت القوات الفاطمية في حملة الرملة الثالثة عام ١١٠٥م بشن غارة خاطفة على قوات بلدوين، كنوع من رد الفعل تجاه أفعال الصليبيين في القوى الإسلامية بعد احتلال المدن الإسلامية والقدس الشريف، غير أن القوات الصليبية راحت تقاتلهم بشدة معملين فيهم سيوفهم، فتمزقت صفوف القوات المصرية، وأخذ بلدوين وجنده في مطارتهم حتى بلغ عسقلان(٥٨) على بعد ثمانية أميال، ولم يوقفه عن الذبح المروع إلا دخول الليل، وقد قطعت رءوس المسلمين قرابة خمسة آلاف، بعد أن ذبحوا كذبح الشاه(٥٩).

وصلت بشاعة الصليبيين في تلك الحرب النفسية أثناء حصار أنطاكية ١٠٩٨م إلى أبعد من القتل والتمثيل بجثث القتلى المسلمين من خلال قطع الرؤوس، حيث اتجهوا إلى **نبش قبور الموتى** من المحاربين بعد دفنهم، وفي هذا يقول المؤرخ اللاتيني بطرس توديبود: "... سارع رجالنا بالاستعداد، بعد أن وصلتهم أنباء دفن الموتى المسلمين للتوجه إلى المسجد، حيث نبشوا

القبور وحطموا النعوش، وأخرجوا الجثث من المقابر، ثم قذفوا بالجثث في حفرة ونقلوا رؤوس الموتى إلى خيامهم..."[٦٠].

وفي هذا يؤكد روجر من ويندوفر أنه عندما قام سكان أنطاكية بدفن أجساد موتاهم الذين قتلوا منهم أثناء الليل بعد الصدامات العسكرية التي وقعت بين الصليبيين والمسلمين، فإن الصليبيين قاموا على الفور بنبش قبورهم وأخرجوهم مرة أخرى، ثم جرد هؤلاء الكلاب (يقصد المسلمين) مما عليهم من جميع الذهب والفضة والثياب الثمينة التي كانوا يرتدونها، وأعطوا الجميع للإستخدام من قبل حجاجهم الذين كانوا فقراء[٦١].

وهنا يتضح مدى التحامل الذي يحمله المؤرخ اللاتيني روجر من ويندوفر على المسلمين، إذ ينعتهم بالكلاب، والباحثة من جانبها لا توافق على ذلك، ولكن تلك هي لغة العصور الوسطى بين الشرق والغرب الأوروبي، ولهذا لا ينتظر من روجر أكثر من ذلك، حيث يتبين مدى جهله بخصمه، فهو لا يدرى أنه ليس من الشريعة الإسلامية أن يرتدى المتوفي عند دفنه الذهب أو الفضة أو حتى الثياب الثمينة، وهذا يظهر أن روجر كان ناقلاً لمعلوماته نقلاً دونما تحليل أو توضيح لما كتب.

على أية حال، فإنه وزيادة في إثارة المخاوف وقذف الرعب في قلوب المسلمين إنهم قاموا بحمل تلك الرؤوس على أربعة جياد لنقلها إلى مندوبي أمير القاهرة الذين يعسكرون بالقرب من ساحل البحر"[٦٢]. وكان الغرض من نقل رؤوس قتلى المسلمين هو أن يراها مبعوثي الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الذين أقاموا بجوار ساحل البحر[٦٣].

ويبدو أن هذا المنظر أثر نفسيًا وبشكل كبير على المسلمين، حيث يذكر أحد المؤرخين: "...أن هذا المنظر ترك في نفوس المسلمين اكتئابًا وحزنًا شديدين..."[٦٤]، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى روعة المشهد وأثره السلبي على كافة المسلمين داخل

أنطاكية، فقد قلت عزائمهم في الدفاع عن مدينتهم، حتى يذكر البعض أن المسلمين بعد هذا الحدث لم يفعلوا شيئًا[٦٥].

وكان من الأساليب التي استعملتها القوات الصليبية ضد مسلمي الشرق أسلوب **حرق الجثث**، وليس أدل على ذلك ما وقع بعد استيلاءهم على بيت المقدس، وإعمالهم الذبح والقتل بالمسلمين وكذلك الحرق، حيث أنهم قاموا بجمع كومة من جثث المسلمين وأحرقوها حتى صارت رمادًا، ظنًا منهم أن المسلمين قد ابتلعوا العملات الذهبية وهم أحياء داخل أمعاءهم[٦٦]. والحقيقة ما هذا إلا صورة من صور الحرب النفسية، التي أراد الجيش الصليبي أن يصدرها إلى كافة المسلمين، لإحداث أثرًا جليًا تتساقط عبره المدن والقلاع، ويستسلم المسلمون لاحتلالهم دون مقاومة، وليس كما أدعوا مسألة البحث عن الذهب داخل بطونهم، والدليل على ذلك أنهم استخدموا الأسلوب مرارًا، فتذكر لنا المصادر المعاصرة أنه وفي أثناء محاولة الصليبيين الاستيلاء على قيسارية تلك التي حاصروها برًا وبحرًا عام ١١٠١م[٦٧]، وبعد سقوطها في أيديهم وقتلهم لأهلها[٦٨]، فقد شوهد كثرة هائلة من المسلمين القتلى وقد كوموا في كومة كبيرة وأحرقوا، وكانت الرائحة العفنة المنبعثة من أجسادهم مصدر إزعاج حتى للصليبيين، إذ أنه تم احراق جثث المسلمين من أجل استخراج النقود التي كان بعضهم قد ابتلعوها، وكان البعض الآخر قد خبئوها في حلقوهم- على حسب زعمهم- ؛ رغبة منهم في ألا يأخذ الصليبيين أي شيء يخصهم[٦٩].

ولعل هذا يبين مدى وحشية الصليبيين وجشعهم إذ لم يكتفوا بما نهبوه حتى صار الفقير منهم غنيًا، ولكنهم راحوا يفتشون الجثث بحثًا عن أي شيء ينهبونه، ولكى يكون الأمر أكثر سهولة وسرعة بادروا إلى حرق الجثث والبحث في رمادها عن الذهب[٧٠]. وهذا له دلالة واضحة على مدى الفاقة التي كان يعاني منها أناس الغرب الأوروبي الذين شاركوا في الحروب الصليبية، ومن هنا لابد أن نفتش عن العامل الاقتصادي.

بعد الاستيلاء على قيسارية اتجه الصليبيون وعلى رأسهم بلدوين الأول عام ١١٠٤م بعد استعانته بجنوه وبيزا إلى اسقاط مدينة عكا(٧١)، التي ما أن انقطع أمل واليها زهر الدولة الجيوشي(٧٢) من مساعدة الفاطميين له، حتى أعلن استسلامه للصليبيين مقابل الخروج منها وأهلها آمنًا، لكن الصليبيين لم يكن لهم عهد، فاجتمعوا على المسلمين وقتلوهم أشر قتله، بل فتكوا بهم(٧٣).

يشير ألبرت دى آكس إلى ذلك صراحة من أنه بعد أن تم الاتفاق على خروج أهل المدينة وتركها، أخذ الملك وجيشه جانبًا، وخرج زعيم المدينة زهر الدولة الجيوشي وبقية سكانها آمنين مع نسائهم وأطفالهم وكل أمتعتهم وممتلكاتهم، لكن الصليبيين حين رأوهم محملين بالأمتعة، تجاهلوا العهد الذي قطعوه مع المسلمين، وقتلوا السكان وحصلوا على ما معهم من ذهب. والأدهى من ذلك أن الصليبيين أخذوا بعد قتلهم لمسلمي عكا يشعلوا حريقًا هائلاً قضي على نحو أربعة ألاف من المسلمين(٧٤).

تكرر هذا الأسلوب من أساليب الحرب النفسية فيما أورده مؤرخ آخر في عام ١١٨٩م بقوله: "... أنه لابد لى من أن أخبرك بما ألم برجال الجيش رغم ما يبدو في هذا الحادث من السذاجة حتى أن الكنيسة أنكرت هذه الحادثة، ونددت بها، ومنعت الناس منعًا باتًا من الاعتقاد في صحتها وأصبح العسكر على مسيرة(٧٥) مرحلتين(٧٦) من الناصرة أن صادف السرجندية(٧٧) عجوزًا مسلمة على ظهر أتان، فظنوها أمة هاربة من مولاها فأمسكوها، لكن ما لبث أن عرفها البعض وقالوا أنها من الناصرة، ثم سألوها عن وجهتها في مثل هذه الساعة فلم تجبهم الإجابة الشافية، فهددوها وعذبوها، ثم عادوا يسألونها عن وجهتها التي كانت عازمة على التوجه إليها فقالت أنها كانت ماضية إلى صلاح الدين لتأخذ مكأفاتها عن خدمة سبق أن أدتها إليه، فزادوا في تعذيبها ليقفوا منها على ماهية هذه الخدمة فصرحت لهم أنها ساحرة، وأنها ألقت برقاها على العسكر الصليبي إذ ظلت على مدى ليلتين حولهم وهي تكلف شيطانها بإلقاء سحره عليهم، وأخبرتهم أنهم إن ظلوا مقيمين حين هم فلن يستطيعوا حراكًا وحينذاك يأخذهم صلاح

الدين أخذ اليد فلا ينجو منهم أحد أبدًا، وأخبرتهم أنهم إن لم يغادروا هذه الناحية فلن يبقي منهم أحد... ثم سأل المرأة من قبضوا عليها اتستطيعين أن تحرري الجيش من فعل هذا السحر؟ فقالت لهم: "أجل، إن هم رجعوا إلى الموضع الذي جاءوا منه"، فاعتبروا ما تقوله كذبًا وخديعة إن أنها لا تعدو أن تكون مسلمة وتزعم أنها ساحرة، وحينذاك جمعوا أغصان الشجر والحشائش الجافة وأشعلوها وتعالت ألسنة النار فألقوا بالساحرة فيها، فوثبت خارج هذا اللهب المتقد مرتين أو ثلاثًا. وكان هناك جندى من السرجندية يحمل فأسًا فأهوى بها على رأسها فشطرها شطرين، فألقوا بها في النار فأتت عليها(٧٨).

يبدو من هذه الرواية أن أساليب قتل المسلمين والتمثيل بجثثهم كان أمرًا شائعًا لدى الصليبيين يستعملونه بدون شفقه أو رحمه. كما يتبين أيضًا أنهم كانوا يعتقدون في أعمال السحر والشعوزة، حتى تصوروا أن صلاح الدين الأيوبي من الممكن أن يحاربهم بها، وهو أمر مستبعد، لا يجوز الجدال فيه، بدليل أن صلاح الدين عندما علم بخبر قتل تلك المرأة ومن ثم حرق جسدها في النار، فإنه قد أصابه الحزن الشديد عليها، حتى أنه كان يود لو يجزل لها العطاء والمكافأة لو بقيت على قيد الحياة ولم تأت عليها النار(٧٩).

لم يكتف رجال الجيش الصليبي بأسلوب الحرق بالنار فقط لجثث المسلمين فقط، بل نجد أنهم اتجهوا إلى استعمال لونًا أخر من ألوان الحرب النفسية أكثر وحشية من سابقتها منذ أن وطأت أقدامهم أراضي الشرق الإسلامي، إذ أنه وبعد حصار أنطاكية عام ١٠٩٧م، ووقوع معركة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وهزيمة الأول وفرار جنده، اتجه الجنود الصليبيين نحو النساء المسلمات فبقروا بطونهم، وقد عبر عن ذلك فوشيه الشارتزى بقوله: "...هرب كربوقا (أي كربوغ) مسرعًا مثل الغزال... وأولئك الأتراك الذين كانت خيولهم قوية وسريعة تمكنوا من الهرب، ولكن الضعفاء تركوا للفرنج(٨٠) ... أما النساء اللاتي وجدن في خيام المسلمين، فإن الفرنج لم يرتكبوا شرًا

معهن، وإنما بقروا بطونهن بحرابهم فحسب..."[٨١]، ويتضح هنا التعصب الأعمى للمؤرخ تجاه المسلمين، الذي لم يجد معه غضاضة في إعلان تلذذه واستمتاعه بوحشية رفاقه الصليبيين، ولم يكن قادرًا على رؤية الحقيقة القائلة: بأن للمسلمين الحق في الدفاع عن أوطانهم[٨٢].

وقد أرجع بعض المؤرخين السبب الذي دفع رجال الجيش الصليبي إلى القيام بمثل هذه الأفعال من بقر للبطون إلى أن ذلك لنشر الرعب وإضعاف الروح النفسية للقوى الإسلامية، فحسب، بل كان بحثًا عن المال الذي يخبئونه في بطونهم[٨٣]، وقد أكد ذلك العديد من المؤرخين اللاتين مثل وليم الصوري حين تناول أحداث سنة ١١٠١م، عندما استولى الصليبيون على مدينة قيسارية[٨٤]، حيث نهبوا المنازل، وفتكوا بكثير من المسلمين، حتى من وقعوا في أيديهم من أسري، إذ بذلك قد حكموا السيف في الأهل والحشم، ولم يتوقفوا عند ذلك بل أنهم اتجهوا لمطاردة من فر بحياته ناجيًا في الشوارع الجانبية من المدينة، فقاموا بقتله والتمثيل به، ومن قدرت له النجاة بحياته من المسلمين، فإنهم قتلوا أنفسهم بأيديهم، إذ ابتلعوا القطع الذهبية والجواهر الغالية، مما حرك جشع الصليبيين إلى درجة أنهم راحوا يبقرون بطون هؤلاء بحثًا عما يكونون قد خبأوه من المال في أمعائهم[٨٥].

وقد تكررت تلك الصورة الوحشية من بقر بطون المسلمين بعد قتلهم، وبالتحديد بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس عام ١٠٩٩م، وهذا ما أشار إليه مؤرخوهم بشيء من الفخر فقال أحدهم: "كم سيكون المنظر مدهشًا لو أنك رأيت فرساننا ومشاتنا، بعد أن اكتشفوا خداع المسلمين؛ فشقوا بطون الذين ذبحوهم لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العملات الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء"[٨٦]. وكان الهدف من بقر البطون هو البحث عن الذهب والفضة إلى جانب التمثيل بالجثث.

ونتيجة للحالة المزرية التي وصل إليها الجيش الصليبي أثناء تحركه نحو بلاد الشام، من نقص للطعام وقلة المؤنة جعلته يأكل الأعشاب والأشواك، كما أنهم أكلوا الخيول ، والبغال ، والجمال، والكلاب، بل وحتى الفئران، بل إن الناس الأكثر فقرًا أكلوا جلود الحيوانات وبذور الغلال التي وجدوها في القمامة والسباخ(٨٧). بل وصل الحد إلى أكل لحوم المسلمين، وليس ثمة دليل على ذلك مما وقع أثناء حصار الجيش الصليبي لأنطاكية ١٠٩٨م، وذلك عندما قام بوهيموند النورماني بشنق بعض الأسرى المسلمين، ثم أشعل النار، وأمر بغسل أجساد هؤلاء الأسرى بالماء بعد شنقهم، ليتم شيها على النار، وألقى بأوامره على رجاله أن لو سألهم سائل عن معنى الذي يرون أجابوه بأن الأمراء قرروا من الآن فصاعدًا أن تُزود موائد القادّة بلحوم جميع الأعداء والجواسيس(٨٨).

ويبدو أن مثل هذه الأخبار قد ذاع صيتها بين جميع الجنود، فتملك الفزع من كان بالمُعسكر من الجواسيس فسارعوا بالعودة إلى مُعسكراتهم خوفًا من هذا المصير، ونقلوا إلى ذويهم أنه ليس للصليبيين مثيل في الوحشية "فهم قوم لا يقنعون باحتلال مدن عدوهم وقلاعه، ولا يكفيهم أن يغنموا شتى أنواع المتاع والرمي بخصومهم في السجون أو تعذيبهم أو قتلهم، بل إن هؤلاء الصليبيين يسعون كذلك لملء بطونهم بلحم عدوهم ولعق شحمه"(٨٩)، ولعل مثل هذه الأخبار قد أثرت معنويًا على أهل أنطاكية الذين أصابهم الفزع وقت سماع هذه الأنباء(٩٠).

وقد تعدى الأمر أكثر إذ أنه وفي أثناء حصار الصليبيين لمعرة النعمان(٩١) خلال الحملة الصليبية الأولى، وفي الطريق إلى بيت المقدس عام ١٠٩٨م أقدم بعض الصليبيين من شدة الجوع وقلة المؤنة إلى التمثيل بالجثث بعد قتلها من خلال أكل لحومها إلى درجة أنهم كانوا يأكلون في تلذذ جُثّث المُسلمين المُتعفنة التي كانوا قد ألقوا بها في المُستنقعات قبل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، وأثار هذا المنظر اشمئزاز حتى الصليبيين أنفسهم(٩٢)، وهذا ما أكده فوشيه بقوله: "... وقد تمكن هذان الزعيمان (أي

بوهيمند والكونت ريموند الصنجيلي) من الاستيلاء على مدينتي البارة[٩٣] ومعرة النعمان، في هجوم كشف عن شجاعة عظيمة، وقد استوليا على المدينة الأولى بسرعة فائقة، وقتلا كل رجل من سكانها، وصادرًا كل شيء، ثم أسرعا إلى المدينة الأخرى وحاصراها على مدى عشرين عامًا. وهنا عانى رجالنا من الجوع المتزايد، إن الرعب يتملكني وأنا أقول إن كثيرين من رجالنا الذين عذبهم الجوع الضاري بجنونه، كانوا يأكلون جثث المسلمين الذين كانوا يرقدون هناك بعد قتلهم"[٩٤].

هذا وقد أظهر أحد المؤرخين اللاتين الدافع وراء التظاهُر بأكل لحوم البشر من قبل الصليبيين فقال: كان رد فعل المُسلمين هو: "إن ذلك الجنس العنيد الذي لا يعرف الرحمة ولا يُحرّكهُ الجوع أو السيف أو أي اخطار ولمدة عام، عن أنطاكية، يتلذّذ باللحم البشرى، لذا فإننا نسأل "من يستطيع أن يُقاومهم؟" ونشر المُسلمون قصصًا عن هذه الأعمال وغيرها من الأعمال التي تخلو من الإنسانية، والتي ارتكبها الصليبيون، ولكننا لم نكن نُدرك أن الرب قد جعل منا سببًا من أسباب الهلع"[٩٥].

وهُناك رواية صريحة من المؤرخ الصليبي روجر أوف ويندوفر تؤكد على أن أكل لحوم البشر والتظاهُر بذلك كان من أساليب الصليبيين في الحرب النفسية ضد المُسلمين، فذكر أن الأمراء الصليبيين احتار ولم يعرفوا العلاج الذي ينبغي استخدامه ضد هذا الشر، لكن بوهيموند عرف كيف يتصرف، ذلك أنه كان رجلًا ذكيًا، فعند حلول المساء من الليلة التالية، عندما كان رفاقه جميعًا مُنشغلون في جميع أرجاء المُعسكر بإعداد الطعام لعشاءهم، أمر بإحضار عدد من المسلمين كانوا لديه في السجن وأمر بقتلهم، ثم قام بشي أجسادهم فوق نار كبيرة، لإعدادهم من أجل المائدة، فضلًا عن هذا أمر خدمُه أنهم إذا ما سُئلوا عما كان يحدُث أن يُجيبوا أن أوامر عامّة قد صدرت تقضي أنهُ مُنذ الآن فصاعدًا، بتقديم جميع المسلمين الذين سوف يجلبهم الكشافة أسرى، ليكونوا طعامًا لكلّ من الأمراء والناس عامّة[٩٦]، وتتوافق هذه

الروايــة مــع روايــة فوشــيه ممــا يــدل علــى أن روجــر كــان حريصًــا علــى تحــرى أخبار الحملة بسماعها وتسجيل كثير من أحداثها.

وسمع الجيش الصليبى كله أخبار هذا العمل المُدهش الذي قام به الأمير بوهيموند، فركضوا جميعا ليتعرفوا على الأخبار، واعتقد الجواسيس المسلمين الذين كانوا في المُعسكر، بأن هذا العمل كان عملًا جادًا، لا رجعة فيه، ولذلك خافوا من أن يحدُث الشيء نفسهُ لهم، ولذلك غادروا المُعسكر، وعادوا إلى بُلدانهم، حيث أخبروا سادتهم بأن رجال الجيش الصليبي كانوا شرسين جدًا، مثلهم مثل وحوش الغابة، ولا يقنعهم إخضاع المُدن والقلاع والاستيلاء على أسلاب أعدائهم، وهم لا يكتفون بتعذيب أسراهم وقتلهم، بل يقومون بملء أجوافهم من جثثهم، وهم يتغذون على دماء ضحاياهم، وانتشر هذا الخبر ووصل إلى أقصى مناطق الشرق، وأرعب البُلدان النائية جدًا، واضطربت أنطاكية لسماعها أخبار هذه الفعّلة، وبهذه الوسيلة توقف إلى أبعد الحدود الخوف من الجواسيس المسلمين، وورد في أنشودة أنطاكيا أن هُناك شخص من الفرنج يُدعى [طافور Tafurs] كان يجلس ليشوى لحم موتى المُسلمين(٩٧).

والأدهى من ذلك – كما ذكر فوشيه الشارتري– أنهم أي الصليبيين كانوا يطبخون القطع التي انتزعوها من الجثث ويأكلونها، ويلتهمون اللحم الآدمي بوحشية على الرغم من أنه لم ينضج في الشواء(٩٨).

وقد اتفق فوشيه الشارترى وليم الصوري من أن أسباب أكل الصليبيين للحوم المسلمين كان نتيجة لتفشي المجاعة في صفوف الجيش الصليبي آنذاك، ونقص ما لديهم من الطعام أجبر الكثيرين الكثيرين منهم على الخروج على العرف، فنهجوا نهج الوحوش الكاسرة إذ لم يعفوا عن أكل لحوم الحيوانات القذرة، – وإن كان ذلك أمرًا يكاد العقل لا يصدقه– حيث أن حاجتهم إلى الطعام النظيف حملت الكثيرين منهم على التردي في هوة سحيقة أكلوا معها لحوم البشر(٩٩).

وهذا يوضح أن عادة أكل لحوم البشر لم تكن موجودة لدى أبناء الغرب الأوروبي، ولكن المجاعة هي من أدت لخروجهم عن هذا العرف.

وفي النهاية نخلص على أن الهدف من شوى لحوم البشر كان لسببين:

- أولًا: بث الرعب في قلوب المسلمين.
- ثانيًا: طعامًا لجياع الغرب الأوروبي.

والسؤال الآن، هل كان لمسألة التمثيل بجثث الموتى التي اتبعها الجيش الصليبي من أثر سواء على المسلمين أو حتى الصليبيين أنفسهم؟!

ما من شك في أن العمليات الوحشية والمتمثلة في التمثيل بالجثث بكافة أشكاله والتي ارتكبها صليبيو الغرب الأوروبي في مسلمي الشرق، أثناء زحفهم نحو بيت المقدس، كان لها أثرها الواضح لا على المسلمين وحدهم، ولكن طال الصليبيين أيضاً، وليس أدل على ذلك من انتشار الطاعون بين الناس، وهذا بلا شك تسبب في هلاك الكثير في كافة الجانبين، وهذا قد أكده وليم الصوري الذي وضح هذا الأمر خاصة بعد انهاء الحصار الصليبي لأنطاكية ١٠٩٧م، فذكر قائلاً: "**ما كاد حصار انطاكية ينتالتي بالاستيلاء عليها وما كادت أمورها تستقر ويسودها الهدوء حتى ضرب لناس بطاعون، وتزايد عدد ضحاياه زيادة مفزعة وفشي حتى قل أن كان ينقضي يوم إلا ويخرج الناس لدفن ثلاثين جثة أو أربعين، والحق أن القلة التي بقيت من الحصار قد تضاءلت حتى كادت أن تكن عدمًا**"[١٠٠].

ولقد هاجم هذا الطاعون الخبيث الجميع على اختلاف طبقاتهم لم يفرق بين صغير أو كبير، وكان من بين الذين هلكوا أدهيمار أسقف بوى Adhemar of Puy[١٠١] وهنرى ديش DEsch ورينهولد فون أمرزباخ Rherauld Von Ammershach[١٠٢]، وقد تفشي هذا الطاعون أكثر ما تفشي في النساء، حتى هلك

منهن فيه ما يقرب من خمسين ألف امرأة في أيام قلائل[١٠٣]، وعلى مايبدو أن هذا الرقم فيه مبالغة كبيرة، لأن المعروف أن أعداد النساء في الحملة الصليبية الأولى كان قليلاً جدًا مقارنة بهذا الرقم، إلا إذا كان المؤرخ يقصد النساء بشكل عام مسلمين وغير مسلمين في شمال بلادالشام وجنوب آسيا الصغرى.

وقد حاول البعض أن يستقصوا أسباب هذا الوباء، فانتهوا إلى أنه نشأ من جراثيم تسبح في الهواء ولا تراها العين، وفي الغالب كانت نتيجة لكثرة القتل والتمثيل بالجثث التي ارتكبها رجال الصليب في ضوء المعارك التي نشأت بين الجانبين الصليبي والإسلامي[١٠٤].

وظل هذا المرض يفتك بالناس طوال ثلاثة أشهر متتالية حتى مستهل ديسمبر ١٠٩٨م، وفني بسببه أكثر من خمسمائة رجل من طبقة الفرسان وحدهم، أما ضحاياه من العامة فكانوا فوق الحصر[١٠٥]. والسؤال هل فرق الطاعون بين طبقة الفرسان وطبقة العامة؟ سؤالاً تطرحه الباحثة على وليم الصورى؟

وللإجابة عليه، تذكر الباحثة أنه طبقة الفرسان كانت طبقة مميزة، من السهل حصر أعدادها، لهذا وجدنا وليم يحدد الأعداد التي أصابها الطاعون بخمسمائة، أما العامة فأعدادهم كثيرة، وليس هناك ما يميزهم كجنود سلاح الفرسان.

كذلك وجدنا نفس الأمر، فحينما سقطت مدينة بيت المقدس في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٩م، وبعد اشباكات عدة مع المسلمين تم فيها قتلهم والتمثيل بهم حتى امتلأت المدينة بجثامينهم، لدرجة ذكر أحد المؤرخين معبرًا عن تلك الحالة من أثر عملية التمثيل تلك: "آه من عفن الرائحة التي كانت حول أسوار المدينة، سواء من الداخل أو من الخارج والتي كانت تنبعث من الأجساد المتعفنة لقتلى المسلمين الذين ذبحهم رفاقنا وقت الاستيلاء على المدينة، والتي كانت ملقاه حيثما تم قتلها"[١٠٦].

يضاف إلى ذلك، أيضًا، أن تأثير التمثيل بجثث القتلى قد أثار الفزع لدى بعض المسلمين خاصة الأهالي، حتى تركوا مدنهم خالية، وقد حقق الصليبيون مبتغاهم، إذ أنه وأثناء توجههم إلى مدينة بيت المقدس وقبل وصولهم إلى مدينة الرملة بعثوا إليها وفدًا بقيادة كونت الفلاندرز وذلك للوقوف على شروط تسليم المدينة لهم، زلكن عند اقتراب هذا الوفد من المدينة لم يقابلهم أحد من أهلها فتقدموا إليها وعند ذلك وجدوا أبوابها منفتحة فدخلوها، وعند ذلك وجدوها خاوية على عروشها وذلك لأن سكانها الذين لم تكد الأخبار بقرب الصليبيين منهم حتى أمضوا الليلة السابقة في مغادرتها هم ونساؤهم وأبناؤهم، وحملوا معهم كل أمتعتهم، فأصبحت المدينة خاوية على عروشها(١٠٧).

وكذلك حين اقتحم الصليبيون مدينة القدس عام ١٠٩٩م فإن ما فعله الصليبيون من أساليب القتل والوحشية من الذبح والتمثيل بجثث المسلمين أثر كثيرًا على معنوياتهم النفسية الأمر الذي دفع بهم إلى ترك المدينة وهذا ما أشار إليه فوشيه الشارتري بقوله: "... تملك الرعب المسلمين تمامًا، إذ تخلوا عن شجاعتهم التي كانوا يتحلون بها من قبل وفروا هاربين عبر شوارع المدينة الضيقة، وكلما أسرعوا في الهرب أسرع مطاردوهم خلفهم، وهو الأمر الذي دفع ببعض المسلمون إلى القفز من فوق الأسوار، وعندما لاحظوا ذلك جروا بأقصى سرعة ممكنة إلى داخل المدينة وانضموا إلى رفاقهم في مطاردة المسلمين وذبحهم دون توقف، ... ولم يبقوا على أحد حتى أولئك الذين كانوا يرجون الرحمة، سقط الجمع كما تسقط التفاحات العفنة من الأغصان المهزوزة، وكما تسقط جوزة البلوط من الأشجار المتمايلة..."(١٠٨).

وقد اتفق وليم الصورى مع ما ذكره فوشيه الشارترى، حيث أكد على أن تلك الأفعال التي ارتكبها الصليبيون من القتل والذبح والتمثيل بجثث المسلمين، كان لإثارة الذعر والرعب، فقال: "غير أن هتافات الصليبيين العالية وهم يدخلون بيت المقدس، وصرخات المارقين المخيفة (يقصد المسلمين) وهم يلقون منيتهم ذبحًا بث الذعر في نفوس المدافعين عن هذا القسم من المدينة"(١٠٩).

وبالتأكيد كان لهذا الفعل أثرًا نفسًيا كبيرًا على المسلمين، إذ سرعان ما اكتشفوا أن كتائب الصليبيين قد اقتحموها عنوة، فإتجهوا إلى مغادرة الأبراج والتخلى عن الحصون، وفروا على وجوههم في شتى النواحي لا ينشدون غير النجاة(١١٠).

لم يكن تأثير تلك المذابح والتمثيل بجثث القتلى على المسلمين وحسب، لكن كان لها أيضًا أثرها الواضح على الصليبيين أنفسهم فقد ساورهم الإحساس بالخوف، لكثرة ما شهدته مدينة بيت المقدس من المذابح(١١١). وكذلك حينما اتجه الصليبيون إلى منطقة البحر الميت، وعلم المسلمون بوجودهم حتى فروا لما سمعوه عنهم– الصليبين– من إشاعات (١١٢).

وعلى النقيض فمثلما تؤدي الحرب النفسية بما تشملها من أساليب مختلفة لبث الرعب والفزع في الأعداء، الأمر الذي يؤدي بالبعض إلى الفرار والخوف من القتال، فيسهل بذلك عمل الجيوش، فإنها قد تدفع أيضًا إلى التصدي وإعادة ترتيب الصفوف، حيث أن الإنسان، وإذا ما وجد أنه لا شيء يخسره، فإنه لا يهاب الخصم، وهذا بالفعل ما وقع من المسلمين في بعض المواقع التي التقوا فيها بالصليبيين في معارك مختلفة، وليس أدل على ذلك، من أنه وفي أثناء توجه الصليبيين نحو بيت المقدس فقد حاولوا الاستيلاء على عرقة في طريقهم، وقد ظلوا أكثر من شهرين محاصرين لها وقائدهم كونت تولوز غير أن محاولتهم كانت عبثًا، حيث راح المسلمون ينظرون إلى الصليبيين نظرة إزدراء، وأخذ خوفهم منهم يتناقص شئيًا فشيئا، وتلاشي ما كانوا يظنونه من شجاعة، لاسيما وقد قامت البينة على انحرافهم عن العزم القوي الذي كانوا يظهرونه(١١٣).

من الملاحظ أيضًا أثناء قيام الجيش الصليبي بالتحرك نحو بيت المقدس، فإننا نجد أن المسلمين لم يفزعهم أساليب الصليبيين النفسية التي اتبعوها في بدايات حركتهم بأرضي آسيا الصغرى، من قطع للرؤوس وحرق الجثث وأكل لحوم البشر وغير ذلك

مما روته المصادر اللاتينية، ولم يفروا تاركين المدينة تقعد فريسة سهلة في أيديهم، بل قاوموهم حتى غلبهم الصليبيون(١١٤).

كذلك نلاحظ حتى بعد سقوط مدينة بيت المقدس، أن محاولات القوى الإسلامية للتصدي للقوات الصليبية ظلت مستمرة ولم يرهبها ما سمعوه عن الصليبيين من التمثيل بجثث موتاهم، فقاموا بالاشتباك عام ١١٠٠م مع بلدوين الأول وقواته في كمين قد أعدوه خصيصًا له في مكان لا يبعد كثيرًا عن مدينة بيروت أثناء انتقال بلدوين من الرها إلى بيت المقدس(١١٥) على بعد حوالي خمسة كم٢، وهو مكان مميز نظرًا لضيقه، ولا يسع لسير القوات فيه دفعة واحدة، وقد أدى ذلك إلى تراجع القوات الصليبية، وفرارها خوفًا من المسلمين الذين نزلوا من الجبال والتلال، فأخذوا يطلقون السهام ويشقون السهام بسيوفهم، ولم يكن للصليبيين ثمة مهرب(١١٦).

وفي هذا يقول وليم الصورى: "... فلما رآ الأعالي تزايد جهود الصليبيين استماتوا من جانبهم في شجب كل خطة فيقابلونها بخطة مثلها، وراحوا يردون القوة بالقوة، وتابعوا نشاطهم في صد المحاصرين ومن يحاولون التقدم بالبرج، فأخذوا في رميهم بالسهام والأحجار، وأسفر نشاطهم العجيب عن نجاحهم في صد تقدمنا..."(١١٧).

واستمرت محاولات المسلمين كذلك في أكثر من موضع للتصدي للجيوش الصليبية حتى بعد سقوط بيت المقدس ١٠٩٩م(١١٨)، وكذلك دفاعهم المستميت عن مدينة عكا ٢٩ مارس ١١٠٣م، ومنعهم الصليبيين من الاستيلاء عليها، حتى أعجب الصليبيون بباسلتهم فذكر البعض ما قوله: "... لم يستطع الملك بلدوين أن يستولى على المدينة، لاسيما وأن المسلمين بداخلها دافعوا عن أنفسهم في شجاعة فائقة تستحوذ على أقصى درجات الإعجاب..."(١١٩).

والسؤال الآن، هل ما ارتكبته الجيوش الصليبية إزاء القوى الإسلامية في الشرق من خلال التمثيل بالجثث أسلوب قتال تميز به الفارس الصليبي في حروبه بشكل عام، أم أن ذلك كان نتاج أيدولوجيه دينية فكرية؟

وللإجابة عن هذا السؤال نذكر أولاً: أنه في ظل الظروف الداخلية للمجتمعات الأوربية، بدأت تتشكل أيديولوجية تمهد لصدام عسكري واسع النطاق ضد الحضارة العربية الإسلامية من ناحية، ولكي يوفر للحضارة الأوروبية النامية مجالاً حيويًا لنموها من ناحية أخرى، وفي خضم هذا التفاعل كانت الدعاية الكنسية وجهود المبشرين الجوالين وتحركات البابوية تكرس العداء ضد المسلمين، وترسم لهم صورة كريهة بغيضة جعلت أبناء الغرب الكاثوليك يتحرقون شوقًا للقضاء على العرب والمسلمين، وكانت هذه الأيديولوجية هي التي أفرزت الحملة الصليبية الأولى ضد المسلمين بحيث صارت مثالاً احتذاه المؤرخون الذين جاءوا بعدهم(١٢٠). وقد تأكد ذلك في ضوء الخطبة التي ألقاها أوربان الثاني على مسيحي الغرب الأوروبي عام ١٠٩٥م فقال: "إن المسلمين استولوا على المزيد من أرض المسيحيين، وقتلوا وأسروا، كما دمروا الكنائس.. ومن ثم فإننا أحثكم بأن تسارعوا إلى استئصال شأفة هذا الجنس الشرير من أرضنا وأن تساعدوا السكان المسيحيين قبل فوات الأوان"(١٢١)، كما أصر في خطابه على نعت المسلمين بالوثنيين تارة وبالجنس الخسيس والمنحل الذي تستعبده الشياطين وباللصوص والبرابرة تارة أخرى(١٢٢).

وهكذا تكشف الأوصاف التي أسبغتها الحملة الصليبية الأولى على المسلمين عن مدى التعصب الذي كان يحكم أوروبا الكاثوليكية آنذاك، وكيف أن الأوروبي لم يكن ليسمح بوجود الآخر، وكان هذا نتاج روح التدين العاطفي الذي يشوبه التعصب المقيت(١٢٣)، فكان بديهيًا، إزاء هذا الفكر أن يقوم الجيش الصليبي بالتمثيل بجثث المسلمين، ويقابله خوف وفزع من عامة المسلمين الذين ليس لديهم دراية بفنون الحرب وفداحة خسائرها.

ثانيًا: أن القسوة والوحشية التي تميز بها المقاتل الصليبي في الأدوار الأولى من الحروب الصليبية هي في حقيقة الأمر ما هي إلا تعبير عن المستوى الحضاري الذي عاشه مجتمع أوروبا في تلك المرحلة التي شهدت اكتمال ملامح حضارة العصور الوسطى في الغرب، فأولئك المقاتلون هم أحفاد أبناء القبائل الجرمانية التي أخذت تطرق حدود عالم البحر المتوسط منذ وقت مبكر(١٢٤)، ولعل هذا ما أصبغهم بصبغة الوحشية، حتى أن أحد المؤرخين وصفهم بتلك الوحشية بالقول: "استباحوا الأنفس متورعين فلا ترى أعجب من أن ترى استباحة ورعية (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعلمون) وأمدهم في طغيانهم يعمهون ... قد نزع الله الرقة من قلوبهم، ونقلها إلى غروبهم، وهم فظاظ غلاظ، جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ، (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون). خلق الله الخلق من طين وخلقهم من حجارة"(١٢٥).

وقد عبر أسامة بن منقذ عن تلك الوحشية التي اتصف بها المقاتل الصليبي، فيما رواه من أن أحد الفرسان المسلمين عندما وقع أسيرًا في يد جنود تانكرد – أمير أنطاكية –، قد تفنن الصليبيون في تعذيبه، حيث أرادوا قلع عينه اليسرى، غير أن تنكرد أشار عليهم بفقئ عينه اليمنى حتى لا يرى من ترسه شيئًا(١٢٦).

ثالثًا: أن استخدام الصليبيين لأساليب القتل والعنف والتمثيل بجثث المسلمين لم تكن في نظرهم سوى صورة من صور التدين العاطفي غير العقلاني، والمليئة بالتعصب الأعمى والحقد على الوجود الإسلامي في الشرق، هذا بالإضافة إلى أن المقاتل الصليبي كان يرى أن مسألة التمثيل بالجثث ما هي إلا خدمة للصليب وتنفيذًا– على حد قول أحد المؤرخين – لإرادة الرب الذي أراد لهذه الحرب أن تكون(١٢٧).

رابعًا: رب أن مسألة التمثيل بالجثث التي نفذها الصليبيون في المسلمين كانت بدافع الخوف الذي انتاب القوات الصليبية إزاء الصورة النفسية التي صدرتها البابوية

أيضًـا عن المسلمين وتصـويرهم علـى أنهم وثنيين همجيون يجب قتالهم بهذه الطريقة لإرهـابهم كنـوع مـن الحـرب النفسـية، وقـد أكـدت المصـادر اللاتينيـة ذلـك فـي معـرض حـديثها عـن سـير الحمـلات الصـليبية بآسـيا لصـغرى، وحصـارهم لنيقيـة عـام ١٠٩٧م بالقول: "... وأطلق المسلمون سحابة من السهام علينا وهم يصيحون كالذئاب، ووسط صليل صياحهم، وإذ أصابتنا وكدنا نموت بعد أن جرح الكثيرون، ... ولا غرابة في ذلك لأن هذا النمط من القتال مجهول لنا جميعًا..."(١٢٨).

وفـي موضـع أخـر: "... أقبلت عصـبة كبيـرة منهم يشقون طـريقهم بعنف حتـى وصلوا إلى خيامنا، وحين دخلوها انتزعوا أشياءنا، وقتلوا بعضًـا منا، ثم حدث بتدبير من الرب أن أطبقت مقدمة جيوش هيو، وريموند والدوق جودفري عليهم من الخلف، وبينما تقهقر رجالنا نحو خيامنا، رحل المسلمون ظنًا منهم أن رجالنا قد عادوا لقتالهم، ولكن ما حسبوه شجاعة، كان في الحقيقة خوفًا عظيمًا لو كانوا يعلمون... لقد تراكمنا جميعًا، مثل قطيع من الماشية في حظيرة، نرتعش ونرتجف خوفًا ورعبًا..."(١٢٩).

ولعـل هـذا يوضـح أن المسـلمون لـم يكونـوا متخـاذلين أمـام وحشـية الجـيش الصـليبي، وأن نجـاح الصـليبيين كـان راجعًـا لا إلـى تخـاذلهم أو نقص كفاءتهم القتاليـة، لكـن الضـعف السياسـي والتمـزق الـداخلي والمنازعـات التـي وقعـت بـين القـوى السياسـية الإسـلامية آنـذاك، حيـث ضـمت شـيعة وسـنة مقسـمة بـين خلافـة فاطميـة فـي القـاهرة ، وعباسـية فـي بغـداد، ودول مسـتقلة فـي شـمال بـلاد الشـام، وأتـراك سـلاجقة فـي آسـيا الصغرى، مما كان سببا في نصرة القوى الصليبية الغربية.

الخاتمة

- على كل، فمن خلال هذا العرض لموضوع البحث يمكن القول:
- أن الحروب الصليبية التي وجهها الغرب الأوروبي إلى الشرق الإسلامي، لم تتضمن الاشتباكات والالتحامات العسكرية المباشرة وحدها، بل اشتملت كذلك على الحروب النفسية التي تتجه إلى اضعاف الخصم معنويًا والتأثير عليه بشكل سلبي، تمهيدًا للاحتلال العسكري.

- اتضح أن الصليبيين قد مارسوا حروبهم النفسية على جبهتين متوازيتين الأولى بنشر الاشاعات والأقاويل أو ما يسمى بالدعاية الإعلامية من حجم القوات الصليبية، وقدرة الفارس الصليبي ومدى وحشيته، أما الجبهة الثانية فقد تمثلت أيضا في جانبها المعنوي على التنفيذ الفعلي لبعض الأفعال الإنسانية المشينة مثل التمثيل بجثث قتلى المسلمين من خلال قطع الرأس ونبش القبور وبقر البطون، وحرق الجثامين، وأكل لحوم البشر، وكلها وسائل كان الغرض منها إرهاب الخصم ودفعه إلى التسليم. أو الوصول إلى حالة لا يستطيع فيها امساك السيف دفاعا عن نفسه.

- اتضح أن أسلوب التمثيل بالجثث الذي اتبعه الصليبيون في حروبهم ضد المسلمين لم يكن وليد الصدفة أو ضمن ما تمليه المواقف العسكرية أثناء القتال، بل أنه كان أسلوبا تم العمل به بشكل متكرر دون رحمة أو إنسانية.

- تبين من البحث أن استخدام الصليبيين أسلوب الحرب النفسية قد أتى بأثر بالغ على المسلمين، حيث إرهابهم ووصولهم لحالة من الفزع الأمر الذي جعل البعض منهم يخرج من مدنه هروبًا من أفعال الصليبيين.

- وضـح أيضًـا أن مسألة التمثيل بالجثث لم يكن لها تأثيرها على المسلمين وحدهم، بل شملت الصليبيين كذلك، وكان ثمة دليل على ذلك تلك الروائح الكريهة التي انبعثت من القتل والحرق ونبش قبور الموتـ، وقد تسببت في انتشار الأمراض والأوبئة التي أصابت الصليبيين أنفسهم.

- إن الحرب النفسية التي اتبعها الصليبيون ضد مسلمي الشرق وإن آتت بثمارها في كثير من الأحيان وكان من نتائجها احتلال الصليبيين لكثير من المدن والحصون، إلا أنها قد تسببت في جمع كلمة المسلمين في بعض الأحيان في محاولة منهم لصد الخطر الكبير للقوى الصليبية، تلك المحاولة التي عرفت بمقاومة السكان، وإن كانت هذه المقاومة أحبطها بعض الحكام والأمراء السياسيين، هؤلاء الذين كانت اهتماماتهم لا تتعدى الحفاظ على مناطق نفوذهم، غير أن هذا كان دافعًا قويًا لعامة المسلمين للبحث عن سبب البلاء الذي كانت تعيشه، وسعى بعضهم إلى تغييره حتى بدأت حركة إفاقة إسلامية ورد فعل ضد السيادة الصليبية بدءًا من عهد عماد الدين زنكي ونور الدين وصلاح الدين الأيوبي، والذي أعاد القدس إلى السيادة الإسلامية مرة أخرى.

- يتضح كذلك أن الحرب النفسية التي تتبعها الجيوش في العصر الحديث ما هي إلا امتداد تاريخي لما كان يحدث في العصور القديمة والوسطى، وإن اختلفت أساليب القتل والفزع.

- من النتائج العملية والمهمة التي يجب أن نتعلمها في هذه الحرب النفسية هي التدريب المستمر على مقاومة مثل هذه الأساليب من الحروب، وتوعية الشباب بالدور الحيوي الذي تلعبه.

- اتضح أن ما قام به صليبي الغرب الأوروبي من نبش لقبور المسلمين، ما كانت كما أدعى بعضهم للبحث عن الذهب الذي ابتلعه المسلمين، وإنما كان أسلوب لبيان غلظتهم، وما مارسوه من أساليب.

- اتضح كذلك أن أسلوب أكل لحوم البشر التي اتبعها الجيش الصليبي كان تحمل هدفين الأول وهو إخافة المسلمين وبث الرعب بينهم عن مدى وحشية الصليبيين، والثاني هو سد فجوة نقص الغذاء الذي أصاب الجيش الصليبي على مدار تحركه إلى بلاد الشام.

- تبين من البحث أن تنوع أساليب الحرب النفسية التي اتبعها الجيش الصليبي ضد المسلمين والتي منها قطع الرأس ونبش القبور والحرق وأكل لحوم البشر، لم تكن هي الوحيدة من الوسائل، بل كان لبث الأخبار والإشاعات دور مهم أيضًا. وإن اقتصرت الباحثة على دراسة الحالة الأولى من الأساليب.

الهوامش

(1) Pryor J.H., "A View from a Masthead: The First Crusade from the Sea", Cr, Vol. 7, 2008, pp. 87-152; Paul E. Chevedden, “Crusade Creationism "versus" Pope Urban Ii's Conceptualization of the Crusades”, T.His, Vol, pp. 1-46; Andrew A. Latham, “Theorizing the Crusades: Identity, Institutions, and Religious War in Medieval Latin Christendom”, I S Q, Vol. 55, No. 1 (March 2011), pp. 223-243.

وانظر أيضًا: محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م، ط١، ص ٢٧.

(٢) ذكر فوشيه الشارتزى تلك الشعوب التي اشتركت في الحملات الصليبية، فقال: من ذا الذي سمع من قبل عن مثل هذا الخليط اللغوي في جيش واحد؟ كان هناك الفرنجة، والفلمنج، والفريزيون، والغال، والألوبروجيون، واللوثرنجيون، والأليمانى، والبافاريون، والنورمان، والإنجليز، والإسكتلنديون، والأقطانيون، والإيطاليون، والداشيون، والأيوليون، والأيبيريون، والريتون، واليونان، والأرمن". انظر: فوشيه الشارتزى، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة الى المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة ودراسة وتعليق، قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠١م، ط١، ص١٠٣.

(٣) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية، ص ٢٩. وانظر أيضًا:

Pryor J.H., A View from a Masthead, pp. 87-152; Paul E. Chevedden, “Crusade Creationism p. 5.

(4) Housley N. The Avignon Papacy and the Crusades. Oxford, 1986, p. 17; The Routledge Companion to the Crusades, ed. Peter Lock, London-New York 2006, p. 44; Mossa M., The Crusades: Conflict Between Christendom and Islam, Gorgias Press 2008, pp. 25-26.

(٥) مارينو سانوتو، الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، إعداد ومراجعة، بلليغرينو روفكاليا، وسمير على الخادم، نقله إلى العربية الأب سليم رزق الله (بيروت: مؤسسة دار الريحاني، ١٩٩١م)، ط١، ص ٦. وانظر أيضًا:

porges (Walter); “the clergy, the poor, and the non-combatants on the first

crusade" Speculum, Vol. 21, no. 1 (America, 1946),p. 1; Munro (D. C); " the Speech of Pope Urban II at Clermont" American historical Review, Vol. 11 (America, 1905), pp. 231- 242; Milman (Henry H.); History of Latin Christianity, in cluding that of the Popes to the Pantifocate of Nicolas (London, 1857), pp. 133- 134; Chalandon (F); Histoire de la Premiere croisade (Paris, 1925),p. 51; Castries (Duc, De); la Conquete de la terra sainte par les Croises (Paris, 1973), p.46.

(٦) قاد هذه الحملة كل من والتر المفلس وبطرس الناسك. عن دورهما في هذه الحملة انظر:

Hethoum; "Table chronologique"dans, Recueil des historiens des croisades, Documents Armeniens, T. 1, (Paris, 1869),p. 472 ; Röhricht (Reinhold); Geschichte des ersten Kreuzzuges (Innsbruch, 1901), p. 33.

وانظر أيضًا: أنا كومنينا، ألكسياد، ترجمة، حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ط١، ص ٣٨٨؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية (١٠٩٤-١١٨٤م)، ترجمة وتعليق، حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م)، ج١، ص ٩٠، ٩٤؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية، حسين محمد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م)، ص ٨٢ – ٨٣هامش ٦؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوج هيل، لوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه، حسين محمد عطية، تقديم، جوزيف نسيم يوسف (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ص ٦٧ هامش ١٦؛ المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه، حسن حبشي (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٥٨م)، ص ١٨، ١٩.

(٧) من هؤلاء الأمراء بوهيمند Bohemond، روبرت النورماني Robert of Normandies دوق نورماندیا (١٠٥٤-١١٣٤م)، وروبرت الثاني كونت فلاندرز Robert II of Flanders (ت: ١١١١م)، ستيفن كونت بلوا Steven of Blois، هيو كونت فرماندوا Hugh of Vermandois، جودفري من بوايون Godefroi de Bouillon وأخيه بلدوين، عنهم انظر:

Baldric of Dol; "Historia Jerosolimitana", dans Recueil des Historiens des Croisades, historiens - Occidentaux, (Paris, 1879). T.4, p. 15; Ralph of Caen; The Gesta Tancredi of Ralph of Caen Ahistory of the Normans on

the first crusades, Translated and with an introduction by: Bernrad S.Bachrach and David S.Bachrach (Ashgate Publishing Limited, 2005), pp.5, 168.

فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ٩٠-٩١؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٢٠ هامش(١)، (٣)، ص ١٢١ هامش(٥)؛ يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق، سعيد البيشاوي (الأردن: دار الشرق، ١٩٩٨م) ط١، ص ٣١؛ يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوي (الأردن: دار الشروق، ١٩٩٧م) ط١، ص ٧٢ هامش ٣؛ رسالة فيتيلوس في وصف الأرض المقدسة ١١٣٠" في كتاب: سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، الحملة الصليبية الثالثة (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م)، ج٣١، ص ٣٨٦؛ روجر من ويندوفر، "ورود التاريخ" الجزء الأول (١٠٩٩-١٢٠٠م)، تأليف وتحقيق وترجمة، سهيل ذكار، ضمن كتاب الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ج٣٩، ص ٣٠؛ نهى حسام الدين سيد، بوهيمند النورماني ودوره في الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٦- ١١١١م/ ٤٩٠ - ٥٠٥هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب . جامعة حلوان ٢٠٠٣م، ص ٦٢.

(8) Anthony Kaldellis, Streams of Gold, Rivers of Blood The Rise and Fall of Byzantium, 955 a.d. to the First Crusade, Oxford, 2017, pp. 280ff.

(٩) الحرب النفسية: أهدافها وفن استخدامها (arabpsychology.com)

(١٠) فهمي النجار، الحرب النفسية (الرياض: دار الفضيلة، د.ت)، ص ٦٦.

(١١) فهمي النجار، الحرب النفسية، ص ٧١، ٧٤.

(١٢) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ٩.

(١٣) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ٩.

(١٤) نيقية: مدينة تقع في إقليم بيثينيا بالقرب من بحيرة أسكانيوس Ascannius في آسيا الصغرى، حكمها قلج أرسلان السلجوقي، وكان الصليبيون قد حاصروها في ١٤ مايو ١٠٩٧م، حتى وقعت في أيديهم تحت قيادة بوهيمند. انظر: ريموند أجيل، مصدر سابق، ص ٧٧-٨٠، ٨١ هامش(١).

(١٥) **جـودفري دي بوايـون:** ولـد جـودفري دي بوايـون عـام ١٠٥٨م أو فـي ١٠٦٠م فـي بوايـون Bouillon، والده هو يوستاس الثاني Ustas II كونت بوايون، ووالدته اليز Alez، أو أدا Ida ابنـه جـودفري الملتحـي دوق اللـورين السفلي، وأخيهـا جـودفري الأحـدب الـذي خلـف ابـن اختـه جـودفري دي بوايـون فـي الدوقيـة لعـدم انجابـه، لقب جـودفرى فـي المصـادر الغربيـة باسـم دوق اللورين الأعلـى، وفـي المصـادر العربيـة باسـم كنـدهري، تـولى حكـم بيـت المقـدس مـدة عـام مـن ١٠٩٩ وحتـى وفاتـه ١٨ يوليـه ١١٠٠م انظـر: بطـرس توديبـود، مصـدر سـابق، ص ٦٨ هـامش ١٨؛ ريموندا جيل، مصدر سابق، ص ٧٣ هامش ٥.

(١٦) **روبرت الثـاني كونـت فلانـدرز** : هو ابن روبرت الأول Robert I الفريزي. تولى حكم فلاندرز خلفًا لأبيـه عام ١٠٩٣م، وقد قام بدور مهم في الحملة الصليبية الأولى. انظر: ريموندا‌جيل، مصـدر سـابق، ص ٧٣ هـامش ٥؛ بطـرس توديبـود، مصـدر سـابق، ص ٨٤ هـامش ٤؛ روجـر أوف ويندوفر، مصدر سابق، ج١، ص ٣٠.

(١٧) **تنكريـد:** هـو ابـن المـاركيز أودو بـونز Odo Bonus، ووالدتـه هـي إمـا Emma أبنـه روبـرت جويسكارد Robert Gusicard، عمل في خدمة الدوق جودفري دي بوايون برغم ثرائه، كان له دور في الاستيلاء على بيت المقدس عام ١٠٩٩م. عنه انظر:

Ralph of Caen; The Gesta Tancredi of Ralph of Caen,pp.5ff.

بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ٩٤ هامش ٢٧؛ روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ، ص٢٧.

(١٨) **بوهيمنـد:** هـو بوهيمنـد ابـن روبـرت جويسـكارد وألبيـرادا Alberada الأكبـر، انضـم لأبيـه أثنـاء الحـرب مـع البيـزنطيين فـي الفتـرة مـن ١٠٨١وحتـى ١٠٨٤م، ولمـا لـم يـتمكن مـن إقامـة دولتـه، وذهـب ميـراث أبيـه إلـى أخيـه غيـر الشـقيق روجـر بورصـا Roger Borsa، فإنـه اتجـه لتحقيـق المشاركة في الحملة الصليبية الأولى المتجه نحو إلى بيت المقدس. انظر: أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٤٠٦؛ المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص ٢٦ هامش١؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٧٦، ٩١ هـامش ٢٢، ٩٢ هـامش ٢٣؛ ريمونـدجيل، تـاريخ الفرنجـة، ص ٧٣ هـامش ٥. وانظر أيضًا:

Rebecca L. Slitt, ‘Justifying Cross-Cultural Friendship: Bohemond, Firuz and the Fall of Antioch’, Viator 38 (2007), pp. 339–49.

(١٩) تاريخ الرحلة، ص ١١٠.

(٢٠) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٢١) روجر من ويندوفر، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤، ألبرت فون آخن، تاريخ الحملة الصليبية الأولى، في كتاب: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة، سهيل زكار (دمشق: ٢٠٠٧م)، ج٥١، ص ٤٠.

(٢٢) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١١١.

(٢٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، صـ٣٥.

(٢٤) أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٤١٦-٤١٧.

(٢٥) فوشيه الشارتري، مصدر سابق، ص ٩٧-٩٨.

(٢٦) **أنطاكيـة:** هي واحدة مدن بلاد الشام، وقد سميت على اسم أنطيوخوس أحد ضباط فيليب المقدونى. كما أنها مدينة كبيرة جيدة التحصين ذات موقع متميز، وتبعد عن نهر العاصى بحوالى ثلاثة عشر كم، حيث تقع في إقليم العواصم في شمال غرب بلاد الشام، وتمتد في واد فسيح وخصب، وتبعد عن ساحل البحر مسافة أثنى عشر كم، حيث يوجد ميناؤها السويدية. عنها انظر: فوشيه الشارتري، الإستيطان، ص ١٠٩؛ وليم الصورى، الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٧١-٢٧٧؛ جمال محمد الزنكى، "مؤيد الدين ياغي سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٧٧-٤٩١هـ/١٠٨٥-١٠٩٨م" حولية كلية الآداب – جامعة الكويت، الحولية الثامنة عشرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ١١٨-١١٩؛ حسين حديس جاسم، "حصار أنطاكية ٤٩١هـ/١٠٩٧م بين المصادر العربية والصليبية من خلال كتابى زبدة الحلب لابن العديم وأعمال الفرنجة للمؤرخ المجهول"، بحث منشور بمجلة الدراسات التاريخية والحضارية، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة تكريت، العراق، مجلد (٤) عدد (١٣)، حزيران ٢٠١٢م، رجب ١٤٣٣هـ.

(27) Tancredi, The Gesta Tancredi, p. 170; Glaesener, H., 'Raoul de Caen historien et e´crivain', Revue d'histoire eccle´siastique, 46 (1951), 21; Russo, Luigi, 'Tancredi e i Bizantini. Sui Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana di Rodolfo di Caen', M. e. g., 2 (2002), 193.

روجر من ويندوفر، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧-٣٨.

(٢٨) جسر الحديد إشارة إلى نهر العاصي والذي أطلق عليه عدة مسميات منها الأورنت Orontes أو فريس Ferrius أوفار Far أوفاربار Pharpar ويسمى هذا النهر بالعاصي؛ لأن أغلب الأنهار تتجه إلى الجنوب وهذا يتجه إلى الشمال ومنبعه عند بعلبك ويصب في البحر المتوسط عند السويدية غربي أنطاكية. انظر: بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٤٤ هامش (١).

(٢٩) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٣٠) حارم: إحدى مدن بلاد الشام، تقع بين حلب وأنطاكية على السفح الشمالي الغربي للجبل الأعلى، تتمتع حارم بمكانة استراتيجية واقتصادية مهمة، وذلك نظرًا كثرة ما بها من الأنهار والوديان والينابيع والأشجار. عنها انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، د.ت) مج٢، ص ٢٠٥. وعن دورها في الحروب الصليبية. انظر: فاطمة أحمد محمود، مدينة حارم ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية في الفترة من ٥٤٦-٥٨٩هـ/١١٥١-١١٩٣م دراسة وتحليل"، بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالزقازيق، العدد ٣٩، د. ت، ص ١٩٢٣-١٩٧٧.

(٣١) روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ص ٤٨.

Daniel Roach, "Orderic Vitalis and the First Crusade", J. M. H,42 (2016), pp.177-201.

(٣٢) ريموند أجيل، مصدر سابق، ص ١٠٤؛ روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ص ٤٨.

Daniel Roach, Orderic Vitalis, pp. 177-201.

يمارس المؤرخ هنا فكرة العدالة الخيالية حين يجعل الرب يرغب في ضرب أعناق المسلمين وتثبيت رؤوسهم في أطراف الأعمدة كعقاب لهم على تمثيلهم براية مريم المباركة. انظر: ريموناجيل، مصدر سابق، ص ١٠٤، ١١٢، هامش ٥.

(٣٣) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٣٥؛ فوشيه الشارتري، الإستيطان، ص ١٢٣.

(٣٤) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٦٥.

(٣٥) حاكم مدينة أنطاكية وقت وصول الصليبيين إليها، تولى حكم أنطاكية نيابة عن السلطان ملكشاه، واستمر حكمه حتى استولى عليها الصليبيون عام ١٠٩٨م، بعد حصار لمدة تسعة أشهر، وأقام الصليبيون على أنقاضها إمارة لهم حتى عام ١٢٦٨م. انظر: ريموندا‌جيل، مصدر سابق، ص ١١٥ هامش (٩)، وليم الصورى، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٧-٢٧٨؛ حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص ١١١؛ جمال محمد الزنكى، "مؤيد الدين ياغى سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٧٧-٤٩١هـ/١٠٨٥-١٠٩٨م"، حولية كلية الآداب – جامعة الكويت، الحولية الثامنة عشرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ١٥.

(٣٦) روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ، ص ٤٩-٥٠.

(٣٧) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٦٦؛ روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ج١، ص ٥٥؛ أحمد عبد الله أحمد، "العناية بالبيئة داخل المجتمع الصليبي في بلاد الشام (ق٦-٧هـ/١٢/١٣م)"، بحث منشور بمجلة كان التاريخية، الكويت، السنة ١٤- العدد ٥٤- ديسمبر ٢٠٢١م، ص ٨١.

(٣٨) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١١٥. وانظر أيضًا:

Alex Mallett, Franks and Crusades in Medieval Eastern Christian Historiography, (Brepols, April 2021), pp. 43ff.

(٣٩) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١١٥.

(٤٠) روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ص ٥٠.

(٤١) ريموندا‌جيل، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ٣١٣؛ وليم الصوري، المصدر السابق، ج ٢، ص، ٩٤.

(٤٢) ريموندا‌جيل، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ج١، ص ٨٢.

(٤٣) ريموندا‌جيل، نفس المصدر سابق، ص ٢٣٥؛ روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ج١، ص٨٢-٨٣.

(٤٤) ريموندا‌جيل، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ روجر من ويندوفر، ورود التاريخ، ج١، ص ٨٣.

(٤٥) فوشيه الشارتري، الاستيطان، ص ١٣٦-١٣٧.

(٤٦) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٢٧.

(٤٧) وليم الصوري، نفس المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٨.

(٤٨) بلدوين الأول: هو شقيق جودفرى دى بوايون حاكم مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٠٠م)، وقد تمكن من السيطرة على إمارة الرها في عام ١٠٩٨م، وعندما توفي أخوه جودفري دى بوايون تولى حكم مملكة بيت المقدس بدلا عنه، وقد اعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس، ومنذ توليه وضع خطة استهدفت ضم المدن الساحلية في بلاد الشام، حتى تكون خط الاتصال بين الغرب الأوروبي والمملكة الصليبية في الشرق. عنه انظر:

John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem: Defender of the Latin Kingdom of Jerusalem, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Portland State University 2013, pp.28-87.

وانظر أيضًا: هنادى محمود السيد، "بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م) وعموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م) ملكان من عصر الحروب الصليبية دراسة مقارنة"، بحث منشور ضمن كتاب، الحروب الصليبية- حركة الاستعمار الأوروبي، ص ٣١٥ وما بعدها.

(٤٩) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن. عنها انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٥٨.

(٥٠) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٢.

(٥١) بيليك: هو نور الدين بيليك ابن شقيق إيلغازى، كان شابًا نشطًا قادرًا، وقد أعد كمينًا أسر فيه جوسلين وابن عمه جاليران في ١٣ من سبتمبر سنة ١١٢٢م قرب سروج، وقد طلب إمارة الرها فدية لهما، ولما رفض الصليبيون سجن الاثنين في قلعة خربُت. انظر: فوشيه الشارتري، الاستيطان، ص ٢٥٠.

(٥٢) فوشيه الشارتري، الاستيطان، ص ٢٧٤.

(٥٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، حـ٣، صـ٣٧.

(٥٤) فوشيه الشارترى، الإستيطان، ص ١٤٤.

(٥٥) اللد: بلدة تقع في الجنوب الشرقي من يافا على الطريق المؤدية إلى القدس، عرفت أيام الرومان باسم diospolis Vespasians وسماها الصليبيون Georges نسبة إلى القديس جورج المدفون في كنيستها. عنها انظر: بنيامين التطيلى، رحلة بنيامين، ترجمها عن الأصل العبرى، عزرا حداد، مصدرة بمقدمة عباس العزاوى (بغداد: ١٩٤٥م)، ط١، ص ٩٥، هامش ٣؛ بورشارد، وصف الأرض المقدسة، وترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوى، مراجعة وتدقيق، مصطفى الحيارى (عمان- الأردن: دار الشروق، ١٩٩٥م)، ص ١٦٤.

(٥٦) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت رباطًا للمسلمين. عنها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، د.ت)، مج ٣، ص ٦٩. وللمزيد انظر: رقية عبد اللطيف شحادة، تاريخ مدينة الرملة حتى نهاية العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٨ وما بعدها.

(٥٧) أراد الوزير الأفضل الفاطمي أن ينتقم من الصليبيين عقب سقوط بين المقدس وعسقلان فأرسل جملة كبيرة إلى فلسطين في ربيع ١١٠١م، بقيادة سعد الدولة القواسي حاكم بيروت، انتصر فيها الفاطميون، ثم أوقع بهم بلدوين الهزيمة بعد ذلك. أما معركة الرملة الثانية ١١٠٢م، فيها قرر الفاطميون رد ما لحق بهم من هزيمة في الحملة الأولى، حيث أسرع الأفضل بإعداد حملة تحت قيادة شرف الدين المعالى بن الوزير الأفضل، وفيها ألحق هزيمة بالقوات الصليبية. أما حملة الرملة الثالثة ١١٠٥م، فيها قرر الأفضل أن يطبق على الصليبيين لطردهم نهائيًا، فأعد لذلك جيشًا تحت قيادة ابنه سناء الملك، ولكن الصليبيين الحقوا به هزيمة كبيرة. عن هذه المعارك انظر: رقية عبد اللطيف شحادة، تاريخ مدينة الرملة، ص ٤٢-٤٤؛ سيان حسن على، كرفان محمد أحمد، "معركة الرملة (٥٧٣هـ/١١٧٨م)، حسب رواية عما الدين الأصفهاني (ت: ٩٧هـ/١٢٠١م) من خلال كتاب البرق الشامى- دراسة تحليلية"، بحث منشور بمجلة كان التاريخية، الكويت، السنة الحادية عشرة، العدد التاسع والثلاثين، مارس ٢٠١٨م، ص ٤٢-٥١.

(٥٨) عسقلان، مدينة بالشام من أعمال فلسطين على البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، استولى عليها الصليبيون عام ٥٤٨هـ، وبقيت في أيديهم خمسًا وثلاثين سنة إلى أن أستنفذها صلاح الدين الأيوبي منهم سنة ٥٨١هـ/١١٨٧م. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ١٢٢؛ زهير عبد الله سعيد أبو رحمة، الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ

بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي (١٣٢-٤٩١هـ/ ٧٥٠-١٠٩٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ الآداب، الجامعة الإسلامية -غزة، ٢٠٠٦م، ص ٢ وما بعدها.

(٥٩) أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٤٣٧-٤٤٠؛ وليم الصورى، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٢٥-٢٢٦: رقية عبد اللطيف شحادة، تاريخ مدينة الرملة، ص ٤٢-٤٤.

(٦٠) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٦٧.

(٦١) روجر من وندوفر، ورود التاريخ، ج١، ص ٥٠-٥١.

(٦٢) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٦٧.

(٦٣) مجهول المؤلف، أعمال الفرنجة، ص ٦٣؛ بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٧٤، هامش ١٣.

(٦٤) بطرس توديبود، مصدر سابق، ص ١٦٧.

(٦٥) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١٣٧.

(٦٦) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١٣٧.

(67) Caffaro. Annali Genovesidi di Caffaro. Roma. 1890., P .117; Caffaro, Genoa and the Twelfth Century Crusades Translated by: Martin Hall Royal Holloway, Jonathan Phillips Royl Holloway, University of London, UK ASHGATE; 2013, pp. 35ff; John France (1997) Victory in the East: A Military History of the First Crusade, Cambridge University Press, 1997, pp. 131-133.

(٦٨) روجر أوف ويندوفر، مصدر سابق، ص ١١١٠؛ ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة، ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م)، ص ١٣٩.

(٦٩) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١٧٠-١٧١.

(٧٠) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١٧١، هامش ٤.

(71) Albert d'Aix; "Historia Hierosolymitana" dans, Recueil des Historiens des Croisades, Historiens - Occidentaux, T.4 (Paris, 1879), P. 606.

عكا: هي اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الشام، مدينة حصينة كبيـرة الجـامع، وبهـا غابـة زيتـون. عنهـا انظـر: يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، مـج ٤، ص ١٤٣.

(٧٢) زهر الدولة الجيوشي، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، بعد سقوط عكا ذهب إلى مصر واعتذر للأفضل الذي قبل عذره. انظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٤.

(٧٣) ابـن الأثيـر: الكامـل فـي التـاريخ (بيـروت: دار صـادر، ١٩٧٩م)، ج ٩، ص ٧٢؛ سـبط ابـن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الهند: حيد آباد الدكن، ١٩٥١م)، ج ٨، ق١، ص ٩

(74) Albert d'Aix, op. cit, p. 607.

(٧٥) المسيرة: مسيرة: ويقصد بها المسافة التي يقطعها المسافر في يوم واحد وتقدر بنحو ثلاثين كيلو مترًا تقريبًا. انظر: طـارق منصـور محمد، الروس والمجتمـع الدولي ٩٤٥- ١٠٥٤ (القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م)، ص ١٦٨ هامش ١٦؛ عبد الرحمن محمد العبد الغنـى، "موقف البيـزنطيين والفـاطميين مـن ظهـور الأتـراك السـلاجقة بمنطقـة الشـرق الأدنـى الإسـلامي" بحـث منشور بحوليات كلية الآداب – ١٥ (الكويت: ١٩٩٥م)، ص ١٥-١٦، هامش ١٠.

(٧٦) المرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في يوم واحد، وتقدر بنحو ثلاثين كيلو مترًا، وهي تساوى نفس المسافة التي يقطعها المسافر في المسيرة الواحدة. انظر: طـارق منصـور محمد، المرجع السابق، ص ١٦٨ هامش ١٦؛ عبد الرحمن محمد العبد الغنى، المرجع السابق، ص ١٥-١٦، هامش ١٠.

(٧٧) السرجندية: أي المشاة. انظر: أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تحقيق، فيليب حتى (برنستون، ١٩٣٠م)، ص ٦٧.

(٧٨) مجهول المؤلف، ذيل وليم الصوري، ترجمة، حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م)، ص ٧٤-٧٥.

(٧٩) مجهول المؤلف، ذيل وليم الصورى، ص ٧٦.

Keagan Brewer and James H. Kane, The Conquest of the holy land by: Slah-Al- Din A critical edition and translation of the anonymous Libellus de expugnatione Terrae Sanctae per Saladinum, London, 2019, p. 79.

(٨٠) كلمة الفرنج: هي الكلمة التي أطلقتها المصادر الإسلامية واللاتينية على الصليبيين، وربما كان ذلك لأن معظمهم من الفرنسيين، إذ أن فرنسا قد ساهمت بأعداد كبيرة من الجنود في هذه الحروب، خاصة بعد أن انتشرت الدعوة للحروب الصليبية على أرضها بكليرمونت Clermont ١٠٩٥م. انظر: فوشيه الشارتري، مصدر سابق، ص ٨٨ هامش ١٩، ص ٩١ هامش ٨٠.

(٨١) فوشيه الشارترى، الإستيطان الصليبي، ص ١٢٢؛ أنا كومنيا، ألكسياد، ص ٤٣٧ وما بعدها.

(٨٢) فوشيه الشارترى، الإستيطان الصليبي، ص ١٢٢، هامش (١).

(٨٣) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ١٢٢؛ أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٤٣٧ وما بعدها.

(٨٤) قيسارية مدينة بساحل الشام بينها وبين الرملة ٣٢ ميلاً، وبينها وبين عكا ٣٦ ميلاً. انظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، نشره رينو وديسلان (باريس: ١٨٤٠م)، ص ٢٣٩؛ ريموند اجيل، مصدر سابق، ص ٢٣٢ هامش (٢٠).

(٨٥) المصدر السابق: جـ٢، صـ٢٢١.

(٨٦) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١٣٧.

(٨٧) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١١٢؛ حسن البطاوى، "مصادر تمويل الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م"، بحث منشور ضمن كتاب: الحروب الصليبية حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى، دراسات لتكريم ا.د/ اسحق عبيد، تحرير، محمد مؤنس عوض (القاهرة: ٢٠١٤م)، ص ٢٨٥.

(٨٨) محمد حسن وفا: الدعاية زمن الحروب الصليبية، صـ١٩٦.

(٨٩) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١١٢.

(٩٠) محمد حسن وفا: الدعاية زمن الحروب الصليبية، صـ١٩٦.

(٩١) معرة النعمان تقع في الجنوب الشرقي للبارة وأنطاكية على الطريق من حماه إلى حلب. انظر: المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، مصدر سابق، ص ١٠٢؛ ريموندجيل، المصدر السابق، ص ١٧٧ هامش ٧؛ بطرس توديبود، المصدر السابق، ص ٢٦٧ هامش ٨؛ وليم الصورى، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤-٣٧.

(٩٢) ريموندا جيل: المصدر السابق، صـ١٧١.

(٩٣) البارة تقع على بعد ٤٢ ميلاً جنوب شرقي أنطاكية، وعلى مسافة ثمانية أميال إلى الشرق من البارة تقع معرة النعمان، وقد استولى الكونت ريموند على الأولى، على حين استولى بوهيموند على الثانية في ١١ من ديسمبر سنة ١٠٩٨م. انظر: فوشيه الشارترى، الإستيطان، ص ١٢٨ هامش(١).

(٩٤) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٩٥) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٩٦) ورود التاريخ: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣٩، صـ٤٥.

(٩٧) ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غُزاة بيت المقدس، صـ١٧٩ حاشية رقم (٣).

(٩٨) فوشيه الشارترى، الاستيطان، ص ١٢٨.

(٩٩) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٠.

(١٠٠) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٨.

(١٠١) أدهيمار أسقف بوى Adhemar of Puy: عرف باسم إديمار Ademar وإيمار Amar أو أليرز Allarz) دى مونتيل De Monteil ترجع أصوله إلى فرنسا حيث ينتمى إلى أسرة كونتات فالنتينوا، له قدرة كبيرة في التبشير، كما أنه زار بيت المقدس عام ١٠٨٦م، وكان هذا من أسباب اختياره قائدًا روحيًا للحملة الصليبية الأولى التي قامت إلى الشرق عام ١٠٩٦م، حيث رافق الكونت ريموند تولوز، وقد عرف عنه أنه كان فارسًا جيدًا تدرب على استخدام الأسلحة، وكانت مهمته التي حددها له البابا أوربان الثاني في هذه الحملة هي ترأسه العديد من الجيوش التي شاركت في الحملة الصليبية، حيث استطاع أن يفرض طاعته على الأمراء تنفيذا لتعليمات البابا، أضف إلى ذلك فإنه قد أعطى صلاحيات تسمح له بإصدار التشريعات، كما أسند إليه البابا كذلك مهمة البت في الاختلافات التي تنشأ بين الصليبيين أنفسهم، وفي هذا يقول فوشيه الشارترى: "قاد بحكمته وحسن تدبيره جيش الرب برمته، والهمه بحزم بأن يؤدى مهمته". عنه انظر: فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ٨٥، ٨٦، هامش ١ ص ٨٦؛ وانظر كذلك: المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص ٢٢ هامش ٣.

James. A. Brundage : "Adhemar of puy", Speculum , vol., 34. No. 2., America, Apr., 1959, p. 201; Laboume , G.J, Adhemer de Monteil (1079-1098) le puy, Paris, 1910, pp.7ff; Chalandon (F.); Histoire de la premiere Croisade (Paris, 1925), pp. 43ff.

وكذلك: إمام الشافعى محمد حمودى، "دور المندوب البابوى أدهيمار دى مونتيل في الحملة الصليبية الأولى"، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد ٣٢، ج ٣، ٢٠١٣م، ص ١٤٨٩-١٦١٤.

(١٠٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٩.

(١٠٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٩.

(١٠٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٩.

(١٠٥) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٤.

(١٠٦) فوشيه الشارتري، الاستيطان، ص ١٤٧.

(١٠٧) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٦٦.

(١٠٨) فوشيه الشارتري، الإستيطان، ص ١٣٦، ١٣٨.

(١٠٩) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٢٥.

(١١٠) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٢٥.

(١١١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٢٦.

(١١٢) فوشيه الشارتري، الإستيطان، ص ١٦٤.

(١١٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٦٠.

(١١٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٢٥-١٢٦.

(١١٥) بيروت: مدينة وميناء قديم من إنشاء الفينيقيين، سماها الرومان Berylus، جددت عمارتها في القرن الأول قبل الميلاد، وتعد من مراكز الثقافة الهيلانية في الشرق الأدنى. عنها انظر: ابن

حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت: ٣٨٠هـ /٩٢٢م)، صورة الأرض (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م)، ص ١٦٢؛ صالح بن يحيى (صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين، ت: ٨٣٩هـ/١٤٣٦م)، تاريخ بيروت وأمراء بنى الغرب (بيروت: دار الفكر الحديث، ١٩٩٠م)، ص٨-٩.

(١١٦) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ١٥٧، ١٥٨.

(١١٧) وليم الصوري، ج٢، ص ١١٨.

(118) Daniel Roach, Orderic Vitalis and the First Crusade, p. 14.

(١١٩) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ١٩١.

وعن الشجاعة والجُبن في الحملة الصليبية الأولى. انظر:

Conor Kostick, 'Courage and Cowardice on the First Crusade, 1096–1099′, War in History 20 (2013),pp. 32–49; William M. Aird, '"Many Others, Whose Names I Do Not Know, Fled With Them": Norman Courage and Cowardice on the First Crusade', in Crusading and Pilgrimage in the Norman World, eds. Paul Oldfield and Kathryn Hurlock (Woodbridge: Boydell, 2015),pp. 13–30.

(١٢٠) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص٦ **(مقدمة المترجم).**

(١٢١) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص ٨٤.

(١٢٢) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص ٨٤، ٨٥.

(١٢٣) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص ٦.

(١٢٤) قاسم عبده قاسم، صورة المقاتل الصليبي، ص ١٤.

أما عن القبائل الجرمانية أو الجرمان، فيعود موطنهم إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبه جزيرة اسكندیناوه، وهم عبارة عن مجموعات كثيرة من القبائل أهمها القوط الغربيون والشرقيون، والوندال، والفرنجة والألماني والسويفي والبرجنديون والفريزيون والسوابي واللمfارد والإنجليز والسكسون والجوت، وغيرهم، ويتميزون بالعيون الزرقاء الحادة والشعر الأصهب، ولغتهم هند

أوربية. للمزيد عنهم انظر: تاكيتوي، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة إبراهيم طرخان (القاهرة، ١٩٥٩م)، ص ٥٠؛ **اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه، عادل سليمان زيتون، (دمشق: دار حسان، ١٩٨٢م)، ٥٧ وما بعدها.**

Felix Dahn Felicitas: A Tale of the German Migrations: A.D. 476, DigiCat, 2022, pp.1-133; Jordanes, THE ORIGIN AND DEEDS OF THE GOTHS, Translated by Charles C. Mierow, Princeton University, 2004, p. 13.

محمد مرسي الشيخ، الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى (القاهرة: دار الكتب، ١٩٧٥م)، ص ٦.

(١٢٥) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق، محمد محمود صبح (القاهرة: ١٩٦٥م)، ص ٥١.

Paul E. Chevedden, "The View of the Crusades from Rome and Damascus: The Geo-Strategic and Historical Perspectives of Pope Urban II and ʿAlī ibn Ṭāhir al-Sulamī", Oriens, Vol. 39, No. 2 (2011), pp. 257-329.

(١٢٦) أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تحقيق، فيليب حتى (برنستون، ١٩٣٠م)، ص ٦٧-٦٨.

(١٢٧) قاسم عبده قاسم، صورة المقاتل الصليبي، ص ٣٤.

(١٢٨) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ١٠١.

(١٢٩) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ١٠٢.

قائمة المختصرات

A.H.R : American Historical Review

B: Byzantion

C. C. e C: Civilta Classica e Christiana

Cr: Crusades

J. M. E. M.S: Journal of Medieval and Early Modern Studies

J. M. H: Journal of Medieval History

His. R: Historical Research

I.S.Q: International Studies Quarterly

M.e. G: Medio evo Greco

R. H. C: Recueil des Historiens des Croisades, Historiens-Occidentaux

Sp: Speculum

T.His: The Historian

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Albert d'Aix; "Historia Hierosolymitana" dans, Recueil des Historiens des Croisades, Historiens - Occidentaux, T.4 (Paris, 1879).
- Alex Mallett, Franks and Crusades in Medieval Eastern Christian Historiography, (Brepols, April 2021).
- Andrew A. Latham, "Theorizing the Crusades: Identity, Institutions, and Religious War in Medieval Latin Christendom", International Studies Quarterly, Vol. 55, No. 1 (March 2011).
- Anthony Kaldellis, Streams of Gold, Rivers of Blood the Rise and Fall of Byzantium, 955 a.d. to the First Crusade, Oxford, 2017.
- Baldric of Dol; "Historia Jerosolimitana", dans Recueil des Historiens des Croisades, historiens - Occidentaux, (Paris, 1879). T.4.
- Caffaro. Annali Genovesidi di Caffaro. Roma. 1890.
- Caffaro, Genoa and the Twelfth Century Crusades Translated by: Martin Hall Royal Holloway, Jonathan Phillips Royl Holloway, University of London, UK ASHGATE; 2013.
- Castries (Duc, De); la conquete de la terra sainte par les croises (paris, 1973).
- Chalandon (F.); Histoire de la premiere Croisade (Paris, 1925).
- Conor Kostick, 'Courage and Cowardice on the First Crusade, 1096–1099′, War in History 20 (2013).
- Daniel Roach, Orderic Vitalis and the First Crusade, Journal of Medieval History 42 (2016).
- Edward Peters, The First Crusade the Chronicle of Fulcher of Chartres and Other Source Materials, Philadelphia 1971.
- Felix Dahn Felicitas: A Tale of the German Migrations: A.D. 476, DigiCat, 2022.
- Hethoum; "Table chronologique"dans, Recueil des historiens des croisades, Documents Armeniens, T. 1, (Paris, 1869).

- Housley N. The Avignon Papacy and the Crusades. Oxford, 1986.

- James. A. Brundage : "Adhemar of puy", Speculum , vol., 34. No. 2., America, Apr., 1959.

- John France ,Victory in the East: A Military History of the First Crusade, Cambridge University Press, 1997.

- John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem: Defender of the Latin Kingdom of Jerusalem, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Portland State University 2013.

- Jordanes, THE ORIGIN AND DEEDS OF THE GOTHS, Translated by Charles C. Mierow, Princeton University, 2004.

- Joshua C. Birk, 'The Betrayal of Antioch: Narratives of Conversion and Conquest During the First Crusade', Journal of Medieval and Early Modern Studies 41 (2011).

- Keagan Brewer and James H. Kane, The Conquest of the holy land by: Slah- Al- Din A critical edition and translation of the anonymous Libellus de expugnatione Terrae Sanctae per Saladinum, London, 2019.

- Laboume , G.J, Adhemer de Monteil (1079-1098) le puy, Paris, 1910.

- Le Febvre (yves); Pierre L'ermite et La Croisade (Amiens, 1946).

- Milman (Henry H.); History of Latin Christianity, in cluding that of the popes to the pantifocate of Nicolas (London, 1857).

- Mossa M., The Crusades: Conflict Between Christendom and Islam, Gorgias Press 2008.

- Munro (D. C); "the Speech of pope urban 11 at Clermont" American historical Review, vol. 11 (America, 1905).

- Paul E. Chevedden, "The View of the Crusades from Rome and Damascus: The Geo-Strategic and Historical Perspectives of Pope Urban II and ʿAlī ibn Ṭāhir al-Sulamī", *Oriens*, Vol. 39, No. 2 (2011).

- Paul E. Chevedden, “Crusade Creationism "versus" Pope Urban Ii's Conceptualization of the Crusades”,The Historian,Vol. 75, No. 1 (SPRING 2013).

- porges (Walter); “the clergy, the poor, and the non-combatants on the first crusade” Speculum, vol. 21, no. 1 (America, 1946),p. 1;

- Pryor J.H., "A View from a Masthead: The First Crusade from the Sea", Crusades Volume 7, 2008.

- Ralph of Caen; The Gesta Tancredi of Ralph of Caen Ahistory of the Normans on the first crusades, Translated and with an introduction by: --Bernrad S.Bachrach and David S.Bachrach (Ashgate Publishing Limited, 2005).

- R. D. Thomas, Anna Comnena’s account of the First Crusade-History and politics in the reigns of the emperors Alexius I and Manuel I Comnenus, Byzantine and Modern Greek Studies 15-1 (1991).

- Rebecca L. Slitt, ‘Justifying Cross-Cultural Friendship: Bohemond, Firuz and the Fall of Antioch’, Viator 38 (2007).

- Robert Levine, ‘The Pious Traitor: Rhetorical Reinventions of the Fall of Antioch’, Mittellateinisches Jahrbuch 33 (1998).

- Röhricht (Reinhold); Geschichte des ersten Kreuzzuges (Innsbruch, 1901).

- Susanna A. Throop, ‘Combat and Conversation: Interfaith Dialogue in Twelfth-Century Crusading Narratives’, Medieval Encounters 13 (2007).

- Susan B. Edgington, ‘Romance and Reality in the Sources for the Sieges of Antioch, 1097–8′, in Porphyrogenita: Essays on the History and Literature of Byzantium and the Latin East in Honour of Julian Chrysostomides, eds. Charalambos Dendrinos and others (Aldershot: Ashgate, 2003).

- The Routledge Companion to the Crusades, ed. Peter Lock, London-New York 2006.

- Weyl Carr(Annemarie. Hill (Barbara) and Brand (Charles.M); Komnenian culture (Amsterdam, 1996).

-William M. Aird, '"Many Others, Whose Names I Do Not Know, Fled With Them": Norman Courage and Cowardice on the First Crusade', in Crusading and Pilgrimage in the Norman World, eds. Paul Oldfield and Kathryn Hurlock (Woodbridge: Boydell, 2015).

المصادر الأجنبية المعربة:

- آنا كومنينا، ألكسياد، ترجمة، حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ط١.
- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه، عادل سليمان زيتون، (دمشق: دار حسان، ١٩٨٢م).
- بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله الى العربية: حسين محمد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ط١.
- تاكيتوي، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة إبراهيم طرخان (القاهرة، ١٩٥٩م).
- بنيامين التطيلى، رحلة بنيامين (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م) ترجمها عن الأصل العبري، عزرا حداد، مصدرة بمقدمة عباس العزاوى (بغداد: ١٩٤٥م)، ط١.
- بورشارد، وصف الأرض المقدسة، وترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوى، مراجعة وتدقيق، مصطفى الحيارى (عمان- الأردن: دار الشروق، ١٩٩٥م).
- "رسالة فيتيلوس في وصف الأرض المقدسة ١١٣٠" في كتاب: سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، الحملة الصليبية الثالثة، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م) ج٣١.
- روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ" الجزء الأول (١٠٩٩-١٢٠٠م) تأليف وتحقيق وترجمة سهيل ذكار، ضمن كتاب الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م) ج٤٤.
- ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية، حسين محمد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م).
- فوشيه الشارترى، فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة ودراسة وتعليق، قاسم عبده قاسم (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١م)، ط١.

- مارينو سانوتو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، إعداد ومراجعة بلليغرينو روفكاليا، وسمير على الخادم، نقله إلى العربية الأب سليم رزق الله (بيروت: مؤسسة دار الريحانى، ١٩٩١م) ط١.
- مجهول المؤلف، "حولية تاريخ المورة"، في كتاب: سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية الروايات الأوربية والإغريقية واللاتينية (دمشق : دار الفكر، ١٩٩٥م) ج١٠.
- مجهول المؤلف، ذيل وليم الصوري، ترجمة، حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م).
- المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه، حسن حبشي (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٨م).
- وليم الصوري، الحروب الصليبية (١٠٩٤. ١١٨٤م) ترجمة وتعليق حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م) ج، ١، ٢، ٣.
- يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوى (الأردن: دار الشروق، ١٩٩٨م) ط١.
- يوانس فوقاس، "رحلة حج يوانس فوقاس في الأرض المقدسة سنة ١١٨٥م " في كتاب: سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م) ج٣٥.
- يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق، سعيد عبد الله البيشاوي (الأردن: دار الشروق، م) ط١.

المصادر العربية:

- ابن الأثير، (أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب بعز الدين، ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م) ج ٩.
- الإدريسي، (أبى عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، ت: ٦٤٩هـ/١٢٥١م)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م) مج٢.
- أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة، ت: ٥٨٤هـ /١١٨٥م)، كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى (الولايات المتحدة الأمريكية، مطبعة جامعة برنستون، ١٩٣٠م).
- الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، الفتح القسي في الفتح

القدسـي، تحقيـق وشـرح محمد محمـود صـبح (القـاهرة: الـدار القوميـة للطباعـة والنشـر، ١٩٩٥م).

- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، الرحلة المسماه تحفة النظار في غرائب الامصار، وعجائب الأسفار (القاهرة: ١٩٨٥م) ج١.

- ابـن حوقـل، (أبـو القاسـم بـن حوقـل النصـيبي، ت: ٣٨٠هـ /٩٢٢م)، صـورة الأرض (بيـروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م).

. ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت: حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك (بغداد: د.ت).

- سبط ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين، ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، وقائع سنة ٤٩٥-٥٨٩هـ (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ١٩٥١م) القسم الأول من الجزء الثاني، ط١.

- صالح بن يحيى (صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين، ت: ٨٣٩هـ/١٤٣٦م)، تاريخ بيروت وأمراء بنى الغرب (بيروت: دار الفكر الحديث، ١٩٩٠م).

- ابن العديم، (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة، ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له: سهيل ذكار، (دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م) ج٢، ط١.

- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد، ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، صححه رينود وماك كوكين ديسلان، (باريس: ١٨٤٠م).

- ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة، ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م).

- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان (بيروت: دار الكتاب العربى، د.ت) مج ١، ٢، ٣، ٤.

المراجع العربية:

- أحمد عبد الله أحمد، "العناية بالبيئة داخل المجتمع الصليبي في بلاد الشام (ق٦-٧هـ/١٢/١٣م)"، بحث منشور بمجلة كان التاريخية، الكويت، السنة ١٤- العدد ٥٤- ديسمبر ٢٠٢١م.
- إمام الشافعى محمد حمودى، "دور المندوب البابوى أدهيمار دى مونتيل في الحملة الصليبية الأولى"، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد ٣٢، ج ٣، ٢٠١٣م.
- جمال محمد الزنكى، "مؤيد الدين ياغي سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٧٧-٤٩١هـ/١٠٨٥-١٠٩٨م" حولية كلية الآداب – جامعة الكويت، الحولية الثامنة عشرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- حسن البطاوي، "مصادر تمويل الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م"، بحث منشور ضمن كتاب: الحروب الصليبية حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى، دراسات لتكريم أ.د/ اسحق عبيد، تحرير، محمد مؤنس عوض (القاهرة: ٢٠١٤م).
- حسين حديس جاسم، "حصار أنطاكية ٤٩١هـ/١٠٩٧م بين المصادر العربية والصليبية من خلال كتابى زبدة الحلب لابن العديم وأعمال الفرنجة للمؤرخ المجهول"، بحث منشور بمجلة الدراسات التاريخية والحضارية، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة تكريت، العراق، مجلد (٤) عدد (١٣)، حزيران ٢٠١٢م، رجب ١٤٣٣هـ.
- رشاد المدني، "بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين والأجانب في القرنين الخامس والسادس الهجريين"، بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب "القدس تاريخًا وثقافة" الذي أقامته الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة ٧-٢٠١١/٠٥/٨م، جمادى الأخرة ١٤٣٢هـ/ مايو ٢٠١١م.
- رقية عبد اللطيف شحادة، تاريخ مدينة الرملة حتى نهاية العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٥م.
- زهير عبد الله سعيد أبو رحمة، الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي (١٣٢-٤٩١هـ/ ٧٥٠-١٠٩٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ الآداب، الجامعة الإسلامية – غزة، ٢٠٠٦م.

- طـارق منصـور محمد، الـروس والمجتمـع الـدولي ٩٤٥- ١٠٥٤ (القـاهرة: مصـر العربيـة للنشـر والتوزيـع، ٢٠٠١م).
- عبد الرحمن محمد العبد الغنى، "موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور الأتراك السلاجقة بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامي" بحث منشور بحوليات كلية الآداب – ١٥ (الكويت: ١٩٩٥م).
- فاطمة أحمد محمود، مدينة حارم ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية في الفترة من ٥٤٦-٥٨٩هـ/١١٥١-١١٩٣م دراسة وتحليل"، بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالزقازيق، العدد ٣٩، د. ت.
- فهمي النجار، الحرب النفسية (الرياض: دار الفضيلة، د.ت).
- قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية نصوص ووثائق (القاهر: دار نافع، ١٩٨٥م).
- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م، ط١.
- محمد مرسي الشيخ، الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى (القاهرة: دار الكتب، ١٩٧٥م).
- نهى حسام الدين سيد، بوهيمند النورماني ودوره في الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٦- ١١١١م/ ٤٩٠ – ٥٠٥هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب – جامعة حلوان ٢٠٠٣م.
- هنادى محمود السيد، "بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م) وعموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م) ملكان من عصر الحروب الصليبية دراسة مقارنة"، بحث منشور ضمن كتاب، الحروب الصليبية- حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى، دراسات لتكريم أ.د/ اسحق عبيد، تحرير، محمد مؤنس عوض (القاهرة: ٢٠١٤م).
- يسرى أحمد عبد الله زيدان، "القدس في كتابات رحالة وجغرافي القرن السابع والثامن الهجريين"، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ – كلية الآداب- جامعة القاهرة، العدد ٢١ ١٩٩٩م.